الباب الثاني

التراث التعليمي ومفهومه في العهد النبوي

١,٢ ـ تمهيد

٢,٢ ـ مفهوم التاريخ

٣,٢ ـ الكتاتيب معنىً وتاريخاً

٤,٢ ـ مفهوم الصحابي

٥,٢ ـ نظرة الإسلام الى العلم والتعليم

٦,٢ ـ التعليم معناه ومفهومه في شخصيّة الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم

٧,٢ ـ التعليم النبوي مفهومه وخصائصه وأهدافه

١,١ تمهيد

إن الإعتماد الكبير على الذاكرة النشيطة في نقل التراث، وعدم اكتراث جمهورالعرب بتعلم الكتابة والقراءة ، أديا إلى إعاقة ظهور مؤسسات التعليم، فلم يقم منها سوى الكُتَّاب الذي لم ينتشر إلا على نطاق محدود في المراكز الحضرية ، مثل مكة والطائف ويثرب ، فلم يكن هناك تعليم عام ، بل كانت الأميه هي الطاغية ، وورد فى الحديث: ((إنا أمَّة أميَّة لا نكتب و لا نحسب)) (مسلم ، ١٣٧٥ هـ:٢/ ٧٦١)

وبالتالي لم تكن عندهم تقاليد مُتَبَلْوِرَة للتعليم، فكان أن حدّد الإسلام المعالم كاملةً، فأوضح أهمية العلم وربطه بالدين، فعزَّزَ بذلك مكانة العلماء، وبيَّن آداب التعليم وتقاليده بعمق وشمول ، فأصبحت تحتذى طوال القرون اللاحقة ، ولاتزال قادرة على إعطائنا الكثير من القيم الثقافية والحضارة الراشدة ، إذ ربما تكون من أهم معطيات عهد النبوّة في نطاق التعليم.

لقد قامت حركة التعليم في العهد النبوّي للصحابة ﷺ على أكتاف رجال يعدون على أصابع اليد ، ولكن الحافز الديني القوي الذي جعل الأمة تحدد أهدافها وتوحد قواها لبلوغها أوجد وسطا ملائما لانتشار التعليم، وبعد زمن يسير طهرت آثار حركة التعليم الجديد في إظهار الطاقات الكامنة، فإذا بأعدادٍ هائلةٍ تعنى بالفكر والعلم ، وتظهر القدرة و الإبداع في ميادين شتى، فتسهم في بناء الصرح الثقافي والحضارى الجديد.

وقامت الدولة الناشئة في المدينة المنورة بمسؤوليتها في بداية الأمر، فقيادتها أكثر وعيا للحاجة إلى التعليم ، وهي تواجه مسؤولية إدارة الدولة وحاجاتها المتنوعة للتعليم.

وصدرت البادرة الأولى عن الرسول ﷺ نفسه ، عندما أمر بعض المتعلمين من المسلمين بتعليم الآخرين ، وأمر بعض أسرى بدر بتعليم شباب الأنصار الكتابة مقابل مفادَاتهم ، وأرسل المعلمين إلى البوادي للدعوة ولتعليم الناس القرآن وتفقيههم بالدين.

وما أن أشْعلت الدولة الفتيلة حتى انطلقت الأمة لتوسع من نطاق التعليم بحيث أصبح لا قبل للدولة باحتواء مؤسساته أو الإشراف عليها.

وهكذا تحولت حركة التعليم إلى كتاتيب وحلقات علم ومجالس في المساجدوفي دور العلماء .

٢,٢ مفهوم التاريخ

" التاريخ "[١] كلمة تدل على الإعلام بالوقت مضافاً إليه ما وقع في ذلك الوقت من حوادث وأخبار والتاريخ بهذا المعنى اللغوي قديم تمتد جذوره إلى الأسرة الأولى من البشر ، فحينما هبط آدم وحواء ﷺ على ظهر هذا الكوكب وأصبح لهما أولاد وذرية أخذ آدم يقصّ على أبنائه مما علّمه الله (شرارة، د.ت: ص٢٣) ويروي لهم من الأشياء ما علمه ورآه ، وأخذ هؤلاء يحتفظون بهذه الأخبار في ذاكرتهم لينقلوها إلى أبنائهم وأحفادهم جيلاً بعد جيل وقبيلاً في إثر قبيل . (النجار،١٩٦٤م: ص١٨- ٢٥)

ثمّ توالت الأزمان وانْبثَق فَجْرُ الحضارة ، وبدأ الإنسان يتعلّم الكتابة ويسجّل مما يسمعه ويراه وما يحتفظ به في ذاكرته على الحيطان والجدران ، وفي العظام والجلود والألواح فبدأت الإنسانية عهداً جديداً يسمى مبدأ التاريخ ، وأما العصور التي سبقت ذلك العهد فتسمى عصور ما قبل التاريخ .

فالعصور التاريخية إذن تبدأ منذ تعلّم الإنسان الكتابة وهذا في مصطلح المؤرخين- وكأنما أرادوا أن يسدلوا الستار على تلك الأزمنة

---

[١] - وأما الفرق بين التاريخ والحضارة فإن " الحضارة في مفهومنا العام : هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته ، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية .

وهذا المفهوم للحضارة مرتبط أشد الارتباط بالتاريخ ، والثمرات الحضارية تحتاج إلى زمن لكي تظهر، أي أنها جزء من التاريخ ، أو نتاج جانبي للتاريخ ، وكما أن ثمر الزروع والأشجار لاتطلع إلا بفعل الزمن ،إذ لايمكن أن تزرع وتحصد ثمرة ما في نفس الوقت ، فإن ثمار الحضارة لا تظهر إلا بإضافة الزمن إلى جهد الإنسان ، ولا تتبين القيمة الحقيقية لأي ثمرة حضارية إلا إذا جربها الإنسان في الإستعمال مرة بعد أخرى ، وعرف فائدتها وتعلم كيف يصنعها إذا أراد ، وهذا أيضاً يحتاج إلى وقت أي زمن وتاريخ ، ولابد كذلك أن يتكاثر صنع الشئ ويتراكم ، حتى يكون له أثر في حياة الإنسان ، ويصبح جزءاً من هذه الحياة، فإذا وفق إنسان إلى صنع قوس واحدة ورمى بها ثم تركها أولم يعرف كيف يستفيد منها في الصيد والحرب فأهملها، لم تكن لها قيمة حضارية، ومن المؤكد عند العلماء أن كل اكتشاف من الاكتشافات المبكرة التي كونت الخطوات الأولى في المسيرة الحضارية، اكتشفت وأهملت أو نسيت أكثر من مرة في نفس الجماعة، حتى اتضحت قيمتها العملية فعمل الإنسان على الإكثار منها واستعمالها، ومع الإكثار تحسن نوعها وزادت كمياتها ، وأصبحت أداة من أدوات الحياة اليومية ، وهذا هو ما يسمى بالقيمة التراكمية ، وهذا أيضاً يحتاج إلى زمن وتاريخ ، وهنا تتجلى لنا الصلة بين الحضارة والتاريخ ، فهما مرتبطان أحدهما بالآخر أشد الارتباط ، ولا يستطيع الإنسان أن يتحدث عن الحضارة حديثاً معقولاً إلا إذا عرف ماهية التاريخ معرفة معقولة أيضاً " . (اتظر :مؤنس، ١٩٧٨م: ص١٣)

المتوغّلة في القدم ، والتي لم تسجّل فيها أخبار الشعوب والأمم؛ لأنها كانت أنباء يحيط بها الغموض ولا تستند إلى أساس سليم - بل يشوبها الحدس والتخمين والكذب والافتراء ، وتفتح الباب على مصراعيه إلى الأوهام والأباطيل ، وذلك كله ما عدا ما جاءت به الكتب السماوية الصحيحة . (النجار،١٩٦٤م: ص ٢٧-٣٣)

وقد تُشِير كلمة التاريخ ، إلى كل من عملية التطوّر التاريخي وإلى وصف تلك العملية ، ولكنهما أمران مختلفان تماماً ، قد لا يميّز بعضنا بينهما تمييزاً دقيقاً في أكثر الأحيان فالتاريخ ينبغي أن يُعرف ب " الوصف الأدبي لأي نشاط إنساني ثابت سواء أقام به الأفراد أو الجماعات ، والذي يتجلى في تطور أية جماعة أو فرد ، ويؤثّر على تطوّرها ، ففي هذا المعنى فقط يستطيع التاريخ أن يكون موضوع دراسة علمية بالمعنى الدقيق " .(فرانز روزنثال ، ١٩٣٩م : ص ١٨-١٩)

عموماً يمكن القول إن علم التاريخ الإسلامي قد دخلت آلاف الكتب التي اعتبرها المسلمون في فترة من تاريخهم الفكري كتباً تاريخية ، فكان فيها قدر عظيم من المادة التاريخية التي رسخت المفاهيم العلمية للكتابة التاريخية .

ويَرى بعض المؤرخين أن المقصود بالتاريخ هو ما يكتبه المؤرّخ وهو يعيش في الأحداث وينقلها سواء ما يراه أمامه أو ما سمعه من الآخرين ، وهو حين يقوم بنقل الأحداث ، فإنه يحملها إلى عالم التصوّر العقلي ، فتتحوّل بذلك من إطارها الخاص إلى إطار داخلي في نفسه . (خضر، ١٩٩٥م : ص٢٦)

ويرى آخرون أن المؤرخ ليس ضرورياً أن يعيش الأحداث التي يرويها بل يمكنه أن يجاوز العصر الذي يعيش فيه لكي يؤرّخ لعصر آخر ، كما هو الحال -مثلاً- حين يكتب مؤرخ معاصر في القرن العشرين تاريخ مصر الفرعونية فهو - والحالة هذه - يجاوز حدود عصره إلى عصر آخر، ويروي أحداثاً لم يشهدها، ووقائع لم يعشها أصلاً ، وإنّما يقوم بجمع المادة التاريخية وتصنيفها وتبدو في تلك الطريقة من المعالجة التاريخية طريقة المؤرّخ وأسلوبه في عرض الوقائع ، وتفسيره لبواعثها ، ومن البديهيات التي لا تحتاج إلى إفاضة أن طريقة التاريخ تقوم على البحث في الوثائق التاريخية واستخلاص أحكام عامة من مجموعها تتعلّق بحياة الكائنات البشرية التي أوجدت تلك الوثائق .(خضر، ١٩٩٥م : ص٢٦)

وبطبيعة الحال، فإن المؤرخ لن يتمكن من ذلك إلاّ إذا كان موسوعياً في ثقافته عارفاً بالعلوم المتصلة بالتاريخ وكتابته ، وهي التي يمكن تسميتها بالعلوم المساعدة أو العلوم الموصلة .

كما أنه لن يتمكن من ذلك ما لم يحط باللغات الأصلية التي يكتب المؤرّخ بها مادته ، واللغات الأجنبية الأخرى القديمة والمعاصرة وكلما زاد إلمام الباحث بهذه اللغات اتسع أمامه أفق البحث والاستقصاء .

ولما كانت هناك عوامل كثيرة متغيرة تدخل في الأحكام التاريخية فليس المدهش هو اختلاف المؤرخين وإنما هو اتفاقهم كلما اتفقوا .

٣,٢ الكتاتيب معنىً وتاريخاً

الكتاتيب جمع (كُتَّاب) بضم الكاف وتشديد التاء نسبة إلى الكتابة (خلف الله، ١٩٨٥م: ٧٧٥/٢) ، و (المُكْتِب) بضم الميم وكسر التاء هو الذي يعلم الكتابة (الرازي، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م :ص٥٦٢)

وقال المبرد : "المَكْتَبُ : موضع التعليم ، والمُكْتِب : المعلم ، والكُتَّاب: الصبيان" (الأزهري ، د.ت: ١٥١/١٠) وهو " مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن " (خلف الله ، ١٩٨٥م : ٢/ ٧٧٥)

ويعدّ الكُتَّاب من أقدم المعاهد التعليمية وجوداً في عصر الجاهلية وصدر الإسلام ، ومما يؤكد ذلك ما ذُكر عن ورقة بن نوفل[١] ابن عمَّ أم المؤمنين خديجة بنت خويلد: (كان يكتب بالعبرانية فكان يكتب من الإنجيل ما شاء الله له أن يكتب) (الذهبي ، د.ت: ١١٥/٢) .

وكما عرفت الكتاتيب في الإسلام منذ عهد الرسول ﷺ (انظر :ابن حبيب، د.ت: ٤٧٥)[٢] فقد ذكر ابن عبد البر [٣]أن رسول الله ﷺ أمر

١- ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشيالأسدي،ابن عم خديجة زوج النبي ﷺ اختلف في إسلامه، قال ابن حجر : وفي إثبات الصحبة له فيه نظر ،وفي أصحاقيل عنه أنه توفي قبل البعثة والنبي ﷺ استمر على الإسلام والعلم عند الله .(انظر ابن حجر ، ١٣٢٨هـ:ص٦٣٤) .!!!!!

٢ - والمعارف ، د.ت : ٣٠٥/٣٠٤ .

٣ - يوسف بن عبد البر بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسي القرطبي، المالكي صاحب التصانيف الفائقة، ولد سنة ثمان وستين وثلاث مئة ، توفي سنة ثلاث وستين وأربع مئة . (انظر: الذهبي، ١٥٣/١٨)

عبد الله بن سعيد بن العاص أن يعلّم الناس الكتابة بالمدينة وكان كاتباً محسناً (ابن عبد البر، د.ت: ٩٢٠/٣)

وروي عن عبادة بن الصامت أنه قال : (علمت ناساً من أهل الصفة الكتابة والقرآن) (ابن ماجة ،١٩٥٣م : ٧٣٠/٢ ح ٢١٥٧)

"والذي يظهر أن الكتابة والقراءة كانتا منتشرتين في المدينة النبوية، و مكة المكرمة، وقد اهتمّ المسلمون في المدينة بتعليم أبنائهم القراءة والكتابة منذ الجاهلية وصدر الإسلام ، ففي غزوة بدر لما أسَرَ المسلمون جماعةً من قريش، وكانوا أكثر من سبعين رجلاً أراد هؤلاء فداء أنفسهم بالمال فقبلت الفدية من الأميين وجعلت فدية الكتبة منهم تعليم عشرة من صبيان المدينة " (ابن عاشور،١٩٨٨م : ٢٥/٦)[١]

لقد كان التعليم في الكتاتيب يسير على الطريقة المعهودة في التعامل مع المتعلمين ، ونبذ الفرقة والعنصرية لا فرق بين غنيهم وفقيرهم ، وأسودهم وأبيضهم ، كلهم سواسية ينهلون من مَنْهلٍ واحدٍ ، ويتعلَّمون تحت سقف واحد ، في جو مفعم بالإخاء والمودة والوئام وهذا ما تميَّز به التأديب في الكتاتيب عن غيره من الوسائط التعلمية الأخرى . (الأنصاري، د.ت:ص ١٩٤)

وعندما شَعَر المهتمون بمجال التعليم بالحاجة الماسة إلى التوسع في نشر الدين وتزويد أبناء المسلمين بالثقافة والمعرفة سعوا إلى إنشاء معهد تربويّ تعليمي يُعْنى بتعليم الصبيان مبادئ العلوم والمعارف الأساسية كالقراءة والكتابة وحفظ قِصَار سور القرآن ، فانبرى لتأييد الفكرة وتنفيذها رجال مخلصون من العلماء والحكام ، فجندوا أنفسهم وبذلوا أموالهم في سبيل نشر العلم واستقطاب العلماء . (الإبراشي ، د.ت: ص٧٣)

١- وابن سعد ، ١٩٧٧م : ٢٢/٢.

٤,٢ مفهوم الصحابي

١,٤,٢ مَن هو الصحابي؟

الصحابي لغة مشتق من الصحبة، وهي المعاشرة ، جاء في لسان العرب : صحبه يصحبه صُحبة بالضم وصحابة بالفتح ، وصاحَبَه عاشَرَه والصاحب المُعاشر.(ابن منظور،١٩٥٥م: ٥١٩/١)[١]

وقال صاحب المصباح المنير (المقرئ،١٩١٢م: ٥٠٩/١): والأصل في هذا الإطلاق - أي إطلاق اسم الصحبة من حيث الاصطلاح- لمن حصل له رؤية ومجالسة ، ووراء ذلك شروط للأصوليين ، ويطلق مجازاً على من تمذهب بمذهب من مذاهب الأئمة ، فيقال: أصحاب الشافعي، وأصحاب أبي حنيفة ، وكل شيءٍ لاءَم شيئاً فقد استصحبه. (انظر: الرازي،١٤٠١هـ-١٩٨١م : ص٣٥٦)

ولا يشترط في إطلاق اسم الصحبة لغة، أن تكون الملازمة بين الشيئين طويلة الأمد، أو الملابسة بينهما عميقة، لأنها اسم مشتق من فعل، والأسماء المشتقة من الأفعال يصح أن تطلق بمجرد صدور الفعل، ولا علاقة لها بمقدار تحقق ذلك الفعل في الشخص.

فكما أن قولك: ضارب وهو اسم مشتق من الفعل (ضرب) يصح أن يطلق بمجرد صدور الضرب من شخص ما دون النظر إلى مقدار هذا الضرب، كذلك يصح أن يطلق اسم الصحابي أو الصاحب على كل من صحب غيره مهما كان مقدار الصحبة، لهذا قال صاحب الرياض المستطابة يطلق اسم الصحبة في اللغة على الشيئين إذا كان بينهما ملابسة وإن قلّت أو مناسبة أو ملابسة من بعض الوجوه" .(العامري، ١٩٨٣م: ص١٢)[٢]

أما تعريف الصَحَابة من حيث الاصطلاح فقد اختلف العلماء في حدّه على أقوال " فالمعروف عند المحدثين أنه كل مسلم رأى رسول الله ﷺ " (السيوطي،١٣٨٥ هـ-١٩٦٦م: ٢١٠/٢) , وقال ابن حجر (١٣٧٨هـ-١٩٥٩م: ٢٣٠/٤): "هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام ولو تخللت ردة على الأصح".

غير أنَّ منهم مَنْ بالغ فكان لا يعدُّ من الصحابة إلا من صحب الصحبة العرفية كما جاء عن عاصم الأحول حيث قال: رأى عبد الله بن سرجس رسول الله ﷺ غير انه لم يكن له صحبة، هذا مع كون عاصم قد روى عن عبدالله بن سرجس هذا عدة أحاديث وهي عند مسلم وأصحاب

---

١ - والفيرز ابادي،١٢٨٩هـ : ٣٧/١.

٢- الخطيب البغدادي،١٣٥٧هـ -: ص١٠٠.!!

السنن وأكثرها من رواية عاصم عنه، ومنها قوله: إن النبي ﷺ استغفر له، فهذا يوضح رأي عاصم في الصحابي بأنه من صحب الصحبة العرفية. (ابن حجر١٣٧٨هـ١٩٥٩م ،٨/٣)

وكذا روى عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يعد من الصحابة إلا من أقام مع النبي ﷺ سنة فصاعداً أو غزا معه غزوة فصاعداً.(ابن حجر١٣٧٨هـ١٩٥٩م :٨/٣)

ومنهم من اشترط أن يكون حين اجتماعه به بالغاً ، وهو مردود أيضاً لأنه يخرج أمثال الحسين بن علي ونحوه من أحداث الصحابة (ابن حجر١٣٧٨هـ١٩٥٩م:٨/٤) وروي عن بعض أصحاب الأصول في تعريفهم للصحابي "أنه من طالت مجالسته عن طريق التتبع" (السيوطي،١٣٨٥ هـ-١٩٦٦م : ٢١٠/٢)[١] قال ابن حجر(١٣٧٨ هـ-١٩٥٩ م: ٨/٣) ، والعمل على خلاف هذا القول وأنهم اتفقوا على عدّ جمع من الصحابة لم يجتمعوا بالنبي ﷺ إلا في حجة الوداع، ولعل أرجح التعاريف وأجمعها ما اختاره ابن حجر(١٣٢٨هـ:٧/١) إذ قال: "وأصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته أو قصرت ومن روى عنه أو لم يرو عنه ومن غزا معه أو لم يغز معه ومن رآه ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى" .

وهذا الذي صحَّحَه ابن حجر نسَبَه كثير من العلماء إلى الإمام البخاري ، وأثبت ابن حجر أن البخاري تابع فيه شيخه علي بن المديني ٰ حيث قال: "وقد وجدت ما جزم به البخاري من تعريف الصحابي في كلام شيخه علي بن المديني فقرأت في المستخرج لأبي قاسم بن منده بسنده إلى أحمد بن يسار الحافظ المروزي قال: سمعت أحمد بن عتيك يقول: قال علي بن المديني: من صحب النبي ﷺ ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبي ﷺ". (ابن حجر: ١٣٧٨ هـ-١٩٥٩ م : ٨/٤)

وبهذا التعريف الذي ذكره ابن حجر هو أرجح التعاريف لما يلي:

أولاً: لأنه يتماشى مع المدلول اللغوي لكلمة الصحبة، ولا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره إلا عند وجود مقتضى لذلك من نص أو مانع، لا وجود لشيء من ذلك كله.

ثانياً: لأنه قول جهابذة السنة وعلماء الأمة ممن لا يعدل قولهم قول غيرهم ممن خالفهم.

ثالثاً: لأن التوسع في إطلاق الصحبة يرى فيه العلماء وجهاً من وجوه الثناء على رسول الله ﷺ وتقديراً لمكانته ﷺ حق قدرها، قال ابن

١- والعامري ، ١٩٨٣م : ص١٢.

الصلاح (د.ت:ص١٤٦): " بلغنا عن أبي المظفر السمعاني المروزي أنه قال: أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابة على كل من روى عنه حديثاً أو كلمة ويتوسعون حتى يعدوا من رآه رؤية من الصحابة، وهذا لشرف منزلة النبي ﷺ أعطوا كل من رآه حكم الصحبة " .

رابعاً: إن الأقوال الأخرى غير جامعة لكل من تشرف بلقاء النبي ﷺ أو رآه ولو مرة ، لأنها اشترطت طول المجالسة أو الغزو معه أو الرواية عنه ﷺ وهذه الأمور لم تتحقق لكثير ممن وصفوا بالصحبة، كالعميان والأحداث من الصحابة رضي الله عنهم .

ثم إن الصحبة تكريم من الله لجماعة من البشر اختارهم سبحانه ليكونوا معية رسول الله ﷺ والنقلة لكل أحداث عصر النبوة ، كما أن رجال الجرح والتعديل بتطبيقهم لقواعد النقد العلمي الصحيح لم يعثروا على ما يمكن أن يكون مخلاً بعدالة أي شخص ثبت أنه رأى أو لقي النبي ﷺ مسلماً ومات على الإسلام. (انظر : الدليمي ، ١٩٩٣م- ١٤١٣هـ : ١٠- ١٢)

٢,٤,٢ طبقات الصحابة

حينما نقول إنَّ كلّ مَنْ رأى النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإيمان فان له شرف الصحبة، وما يلزم منها من العدالة ودخولهم الجنة بوعد الله تعالى لهم بقوله: ﴿ لاَ يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أنفَقُواْ مِن بَعْدُ وَقَـٰتَلُواْ وَكُلاًّ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[سورة الحديد: الآية١٠]، فليس معنى هذا أن الصحابة كلهم على مرتبة واحدة ، بل هم على طبقات ودرجات، حددها عدل الله سبحانه وتعالى ، إذ فيهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وفيهم من تلاهم وتبعهم بإحسان ، فكان لا بد أن يتفاوتوا في الفضل والمرتبة والزلفى عند الله تعالى، لذلك رتبهم العلماء الذين اعتنوا بهم إلى طبقات ، وقد اختلفوا في ترتيب تلك الطبقات باعتبارات مختلفة.

فقسَّمهم ابن سعد (١٩٧٧م : ٣٥/١) في طبقاته على حسب القدم والمشاهد إلى خمس طبقات ، هي :

الأولـى : البدريون من المهاجرين.
الثانيـة : البدريون من الأنصار.
الثالثـة : الذين لم يشهدوا بدراً ولهم إسلام قديم.
الرابعـة: الذين أسلموا قبل الفتح.
الخامسة : الذين أسلموا بعد الفتح.

ورتَّبَهم الحاكم إلى اثنتي عشرة طبقة (النيسابوري ،١٩٧٩م : ص٢٣)[١]وهي كالآتي:

الأولى: قوم أسلموا بمكة مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم â.

الثانية: أصحاب دار الندوة.

الثالثة: المهاجرون إلى الحبشة.

الرابعة: الذين بايعوا النبي ﷺ عند العقبة.

الخامسة: أصحاب العقبة الثانية.

السادسة: أول المهاجرين الذين وصلوا إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء قبل أن يدخل المدينة ويبني المسجد.

السابعة: أهل بدر الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: ((لعل الله أطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم)) (ابن حجر،١٣٧٨ هـ-١٩٥٩م: ٣٠٧/٨)

الثامنة: المهاجرون الذين هاجروا بين بدر والحديبية.

التاسعة: أهل بيعة الرضوان الذين أنزل الله تعالى فيهم قوله : ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ [سورة الفتح: الآية ١٨].

العاشرة : المهاجرة بين الحديبية والفتح ، منهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص .

الحادية عشرة : الذين أسلموا يوم الفتح وهم جماعة من قريش.

الثانية عشرة : صبيان وأطفال رأوا رسول الله ﷺ يوم الفتح وفي حجة الوداع وغيرهما.

والناظر في تقسيم الحاكم يرى أنه قائم على السبق في دخول الإسلام بغَضِّ النظر عن أية عوامل أخرى، بخلاف ما جرى عليه ابن سعد في طبقاته من اعتماده المشاهد والسبق إلى الإسلام معاً، فعنده أنّ المهاجر البدريّ أعلى رتبة من الأنصاري البدري باعتبار عامل السبق ، ومن شهد بدراً من المهاجرين والأنصار فهو أعلى رتبة ممن لم يشهدها وإن كان إسلامه قديماً، وهو بهذا يكون أميز من مخالفيه في تقديرنا.

هذا الترتيب والمفاضلة بين الصحابة ﷺ على سبيل الإجمال، أما على سبيل الأفراد لكل منهم، فقد ذهب جمهور علماء أهل السنة إلى أن

---

١ ـ السيوطي،١٣٨٥هـ-١٩٦٦م: ٢٢١/٢-٢٢٢.

أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ثم أهل بدر ثم أهل أحد ثم أهل بيعة الرضوان وممن لهم مزية من أهل العقبتين من الأنصار والسابقين الأولين. (السيوطي ،١٣٨٥هـ-١٩٦٦م :٢/ص٢٢٣)[١]

٣,٤,٢ عدد الصحابة

لاشك أن حصر عدد الصحابة أمرٌ متعذّرٌ لأمور، منها : أن الرسول ﷺ عاش يدعو إلى دين الله ثلاثة وعشرين عاماً ، وقد أسلم في هذه الفترة خلق كثير بلا شك، فمنهم من كان يقيم معه ومنهم من يرجع إلى الجهة التي جاء منها ، ومعرفة من أعلن إسلامه أمام الرسول ﷺ ومن أسلم دون أن يلتقي به أمر في غاية الصعوبة.

لذا فإن من كتب في هذا المجال، فإنما كَتَبَ على سبيل التقريب لا التحديد فيما نظن.

فقد روي في الإصابة (ابن حجر،١٣٢٨هـ : ٣/١) قوله: " توفي رسول الله ﷺ ومن رآه ومن سمع منه زيادة على مائة ألف إنسان من رجل وامرأة كلهم قد روى عنه سماعاً أو رؤية " .

وأخرج الإمام مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ((خرج رسول الله ﷺ لعشر مضين من رمضان ، وصام الناس معه ، حتى إذا كانوا بالكديد[٢] أفطر، ثم مضى في عشرة آلاف من المسلمين)) وكان ذلك عام الفتح.(مسلم ،١٣٧٥هـ:٢/٧٨٥)

وقال ابن حجر (١٣٢٨هـ: ٣/١) : " ثبت عن سفيان الثوري فيما أخرجه الخطيب بسنده الصحيح إليه قال: من قدّم علياً على عثمان فقد أزرى على اثني عشر ألفاً مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض" - يعني الذين ثُوُقُّوا في خلافة أبي بكر وعمر .

من خلال هذه الآثار يتبين لنا أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا من الكثرة بحيث إن الرواة الذين سمعوا من رسول الله ﷺ يزيدون عن مائة ألف.

ومع هذا فإن التاريخ لم يحفظ لنا عُشْرَ ما ذكره أبو زرعة من الرواة، وقد قام الدكتور أكرم ضياء العمري بدراسة استقرائية في كتب معرفة الصحابة وتوصل إلى هذه النتيجة.(العمري،١٩٧٥م:ص٧٠)

!١ - انظر : الدليمي ، ١٩٩٣م- ١٤١٣هـ : ١٤- ١٥

٢ - الكديد : منطقة قريبة من مكة . (الدليمي ، ١٩٩٣م- ١٤١٣هـ :ص ١٥)

إنَّ أوسع كتب معرفة الصحابة هو كتاب الإصابة لابن حجر حيث بلغت ترجماته (٩٤٧٧) ترجمة ممن عرفوا بأسمائهم و (١٢٦٨) ترجمة ممن عرفوا بكناهم و (١٥٢٢) ترجمة امرأة.

وليس كل من أوردهم ابن حجر في الإصابة قد ثبتت صحبتهم، فقد ذكر في مقدمة كتابه أنه تناول فيه أربعة أقسام وهي:

الأول: من وردت صحبته بطريق الرواية عنه أو عن غيره سواء أكان الطريق صحيح أو حسن أو ضعيف ، أو وقع ذكره على الصحبة بأي طريق كان.

الثاني: فيمن ذكر في الصحابة من الأطفال الذين وُلِدُوا في عهد النبي ﷺ لبعض الصحابة من الرجال والنساء ممن مات وهم دون سن التمييز، لغلبة الظن أنه ﷺ رآهم.

الثالث: فيمن ذكر في الكتب المتقدمة عليه من المُخَضْرَمِين الذين أدْرَكُوا الجاهلية والإسلام، ولم يرد خبر قط أنهم اجتمعوا بالنبي ﷺ ولا رأوه، سواء أسلموا في حياته أم لا، وهؤلاء ليسوا صحابة بالاتفاق.

الرابع: فيمن ذكر في الكتب المتقدمة أنه صحابي على سبيل الوهم والغلط وبيان ذلك . (انظر: ابن حجر: ١٣٢٨هـ: ٤-٦)[١]

٤,٤,٢ طرق معرفة الصحابي

للعلماء في معرفة الصحابة ﷺ طرق يعرفونه بها ، ويمكن إجمال هذه الطرق بما يلي:

الأولى: الخبر المتواتر، كصحبة أبي بكر وعمر .

الثانية: الخبر المستفيض أو المشهور، وهو الخبر الذي لم يصل إلى حد التواتر.

الثالثة: إخبار بعض الصحابة أنه صحابي.

الرابعة: شهادة ثقات التابعين في حقه بكونه صحابياً.

الخامسة: إخباره عن نفسه بصحبته لرسول الله ﷺ بعد أن ثبتت عدالته عند علماء الجرح والتعديل.(السيوطي،١٣٨٥هـ-١٩٦٦م:٢/٢١٣)

فإذا ما ثبتت للشخص صحبة بأية طريقة من هذه الطرق فهو صحابي ويجب تعديله ، واعتبار أقواله ومروياته دون عرضها على ميزان الجرح والتعديل. (انظر: الدليمي ، ١٩٩٣م- ١٤١٣هـ : ١٧)

---

١ - انظر : الدليمي ، ١٩٩٣م- ١٤١٣هـ :١٥- ١٦

٥,٢ نظرة الإسلام إلى العلم والتعليم

١,٥,٢ فضل العلم والتعليم من القرآن الكريم

كلنا نعلم أن أول ما نزل من القرآن الكريم أن أمر الله تعالى نبيه بالقراءة : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾العلق. ومنّ على الإنسان بالإنعام عليه بالعلم : ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [سورة العلق : الآية ٣-٥]، ثم أقسم في ثاني سورة بالكتابة وأدواتها : ﴿ ن ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [سورة القلم: الآية١-٢]، ثم توالت الآيات في بيان فضل العلم كقوله تعالى : ﴿ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ﴾ [سورة الأنعام :الآية ١٤٨] وفي الحثّ على التعلم كقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٢] وفي تكريم العلماء كقوله جلّ وعلا ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ [سورة الرعد : الآية٤٣]

وتمت معجزة الدين الجديد بالقضاء على ظلام الجهل والخرافة والأمية، ونشر مشاعل العلم والحكمة والحضارة والمعرفة في أرجاء الأرض .

وليس هناك من دين سماوي أو نظام وضعي حض على العلم وقدَّسه وأمر بتحصيله وتحكيمه في كل خطوة من خطوات الحياة وفي كل ميادينها كما فعل الإسلام.

ولئلا يفهم الناس أن المقصود من العلم هو علم العبادات والمناسك فقط؛ فقد حثّ القرآن في آياته على تتبع علوم الكون كله، واستنباط أسراره وتعلم قوانينه والاستفادة من نظامه ودقة نواميسه قال سبحانه :﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٨٥] وقال تعالى : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَذا بَـٰطِلاً سُبْحَـٰنَكَ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ١٩١] وأشار في محكم تنزيله الى بعض علوم السماء والأرض ، والنبات والحيوان ، والأجنة والفلك ، والسياسة والاجتماع ، والمعاملات الاجتماعية والعلاقات الدولية .

٢,٥,٢ فضل العلم والتعليم من الأحاديث النبويّة

وردت أحاديث كثيرة في الحث على طلب العلم ونشره وبيان فضل طالبه، ففي وقت كان العلم محظورا على الرعاع من الناس، ومقصورا على طبقة الأشراف والنبلاء ، لم يبح الإسلام العلم فحسب وإنما جعله فريضة على جميع معتنقيه ، قال ﷺ : ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)) رواه ابن ماجة وغيره عن أنس . (١٩٥٣م : ٨١/١ ح ٢٤٤)[١] فثمَّ قدر من العلم ضروري لإيمان المسلم وعبادته ومعاملاته ، وهو القدر المفروض عليه تعلمه ، وماسواه فهو من فروض الكفاية .

وطلب العلم توفيق من الله للانسان لقوله ﷺ : ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)) (الشيخان)[٢]

وطلب العلم عبادة، فلا بد من استحضار النية فيه لقوله ﷺ : ((مَن تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرض الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة)) (أحمدبن حنبل :١٣١٣ هـ : ٣٣٨/٢)[٣]

فالحواس مسؤولة دينياً عن العلم طلباً وتنفيذاً ، والعالم يسأل عن موقفه

العلمي ، ففي قول الرسول ﷺ : ((لاتزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربِّه حتَّى عبد حتى يسأل عن خمسٍ: عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، ومالِهِ من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه ، وماذا عَمِلَ فيما عَلِم)) (الترمذي، ١٣٩٨ هـ : ح٢٦٠١)[٤]

ونظراً لأن العلم كانت تحفظه صدور العلماء غالبا، ويتم نقله مشافهة، فإن العلم ارتبط بالعلماء، فهو يبقى ما بقوا ، وينقص إذا توفي العالم ، وهذا ما يشير إليه حديث قبض العلم: ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)) (ابن حجر،١٣٧٨هـ-١٩٥٩م: ١٩٤/١ح ١٠٠) فلا غرابة إذا اعتبر موت العالم ثلمة في الإسلام (الدارمي ،١٤١٢هـ

١- والبزّار ١٤١٥ هـ : ١٧٢/١ وقال البيهقي :متنه شهورواسناده ضعيف ورويمن أوجه كلها ضعيفة .(١٤٠٣هـ: ٧٢٤/٢)

٢ - ابن حجر،١٣٧٨هـ-١٩٥٩م : ح ٧١ ، ومسلم، ١٣٧٥هـ : ٢/ ٧١٨.

٣ - وأبو داود، ١٣٧٠هـ حديث رقم ٣٦٦٤

٤ - وقال : هذا جديث حسن صحيح . والخصيب البغدادي ، ١٤٠٣ هـ : ٨٨/١-٨٩ .

١٩٩١م:ص ٣٢)، فالعلماء ورثة الأنبياء (البخاري ،د.ت : ص ١٠) ورثوا عنهم العلم، وهذا الإحساس بخطورة نقص العلم بسبب موت العلماء كان من أقوى الدوافع التي أدت إلى اختيار العلماء طريق تقييد العلم وعدم الاكتفاء بحفظ الصدور، ذلك الاختِيار الذي كان له أهمية كبرى في حفظ علوم الإسلام ، ولم يكد القرن الأول الذي وقع فيه الخلاف والجدل حول كتابة الحديث ينتهي حتى ظهرت أولى المصنفات دلِيلاً على غلبة الاتجاه نحو التدوين، ولكن حفظ الصدور لم ينقطع ، بل استمر التأكد عليه قرونا طويلة ، ولازال التعليم الإسلامي يؤكد على " الحفظ " حتى الوقت الحاضر.

والإنسان لا يولد عالما ، غير أنه قادر على تحصيل العلم ببذل الجهد، فهو يولد على الفطرة، وأبواه يؤثران تأثيراً بالغاً في نقل الأفكار والقيم والعقائد إليه، ولذا قال رسول ﷺ : ((إنما العلم بالتعلم)) (البخاري ، د.ت : ح ١٠)

وجعل العلم طريقا إلى الفوز بالجنة فقال ﷺ : ((من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة)) (البخاري ، د.ت: ٢٧/١ح١٠) ، وجعل طالبه حبيب الملائكة الذين يقومون بتأييده ومعونته، قال ﷺ : ((إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع)) رواه أبو داود عن أبي الدرداء (١٣٧١هـ: ح ٣٦٤٣)

وجعل أثره بعد موت صاحبه عملاً مستمراً له وأجراً باقياً وثواباً جارياً في صحيفته فقال ﷺ : ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٌ جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)) رواه مسلم عن أبي هريرة (١٣٧٥هـ:ح ٤٣١٠).

٦,٢ التعليم معناه ومفهومه في شخصية الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم

١,٦,٢ شخصيَّة المعلم المثالي للرسول ﷺ

إن دراسة شخصيَّة الرسول ﷺ بمنهجه التعليمي الفائق الإحكام، استطاع أن يحول جُفاةَ العرب إلى رُهبانٌ في الليل فرسان في النهار، وكان ﷺ شخصاً معلماً فذاً بتعليمه بكل ما تحمله هذه الكلمة من أبعاد ، فالمعلم هو الإنسان الذي يقوم عن عمد وقصد برعاية فردٍ أو أفرادٍ لينمو بين يديه في حياة ناجحة ويرتقي مفهوم (المعلم) لِمَن يرعى جماعة بشرية كبرى يقوم

بتوجيهها وتنشئتها ليضمن لهم حياة نامية وكلما كانت الجماعة البشرية أوسع، كان المربي لها أعظم قدراً وأكبر جهداً وأبقى أثراً .

ولقد نصَّ القرآن الكريم على كون الرسول ﷺ معلّماً قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الجمعة : الآية ٢] وقال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولاًوَكَفَىٰ بِـٱللَّهِ شَهِيداً ﴾[سورة النساء : الآية ٧٩] . وقال تعالى أيضاً : ﴿ وَمَا وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة سبأ : الآية ٢٨] .

هذه الآيات الكريمة دلَّتْ على أنَّ الرسول ﷺ معلمٌ للنَّاس والبشرية جميعاً ، ويقول أبو غدّة (د.ت : ص ٤) " إنما بَعَثه الله مُعلّماً ، وهذا المُعلم المُربّي الكبير ، ولا أكبرَ منه مُعلماً في البشر ، والهادي الأُمّي البصير، والرسولُ المبلّغ المُنير، هو الذي تَدينُ لتعليمِه وتربيتِه أُممٌ كثيرة ، وتُبَجِّلُه شُعوبٌ وأقوامٌ مختلفة في شَتّى أنحاء المعمورة ، تُعَدُّ بمِئات الملايين ، تَخْضَعُ لقولِه ، وتَسترشِدُ بهَدْيه ، وتلتمِسُ رِضوانَ الله تعالى في اتّباعِه والاقتداء به ومن تأمَّلَ حُسْنَ رعايتِه للعَرَبِ مع قَسوةِ طِباعِهم ، وشِدّة خُشونتهم ، وتنافُرِ أمزجتِهم ، وكيف ساسَهم واحتمَل جَفاءَهم ، وصبر على أذاهم ، إلى أن انقادوا إليه ، والتفّوا حوْلَه ، وقاتلوا أمامَه ودونَه أعزَّ الناس عندهم ، آباءَهم وأقاربَهم ، وآثروه على أنفسهم ، وهجروا في طاعته ورِضاه أحِبّاءَهم وأوطانهم ، وعشيرتَهم وإخوانهم ، وكان كلُّ ذلك وأعظَمُ منه منهم له ، وهو لم يُمارِس الكتابة والقراءة ، ولا طالَعَ كُتُبَ الماضين ، ولا أخبار المُرَبّين السّالفين "

وأمّا إثبات السنة المطهرة على أنّ الرسول ﷺ معلمٌ وهو ما رواه ابن ماجه (١٩٥٣م : ح ٢٣٤) عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص قال : ((خَرَج رسول الله ﷺ ذاتَ يوم من بعض حُجَره ، فدخلَ المسجد ، فإذا هو بحَلْقَتين : إحداهما يَقرؤون القرآن ويدَعون الله تعالى ، والأخرى يَتعلَّمون ويُعلِّمون ، فقال النبي ﷺ : كلٌّ على خير ، هؤلاء يقرؤون القرآن ويَدْعون الله ، فإن شاء أعطاهم وإن شاء مَنَعهم ، وهؤلاء يُعلمون ويَتعلمون ، وإنما بُعِثتُ مُعلِّماً ، فَجَلَسَ معهم)) وهذا الحديث يدلّ على إثبات أنّ الرسول ﷺ معلّما حكيماً ، فالحلقة الأولى تلاوة ودعاء ، وهي ما في ذلك شكّ ، ولكن الثانية خيرها أعمّ وأكثر دواماً إنَّه العلم والتعليم ، وتأكيداً لذلك جلس رسول الله ﷺ يشارك علماً وتعليماً .

وروى مسلم (١٣٧٥هـ : ٨١/١٠) في قصة تخيير النبي ‘ زوجاتِه الشريفات ، وقد بَدأ بعائشة منهن فاختارَتْه ، ورَغِبَتْ منه أن لا يُخبرَ غيرها أنها اختارته ، فقال لها عليه الصلاة والسلام : ((إنَّ الله لم يَبعثني مُعَنِّتاً ولا مُتَعنِّتاً [1] ، ولكن بعثني مُعلِّماً مُيَسِّراً))

" وكذلك أثبتَ التاريخ أن رسول الله ﷺ كان معلّماً وأيَّ معلم؟ فنظرةً يسيرةً إلى ما كانت عليه البشرية قبل رسول الله ﷺ ، وإلى ما آلتْ إليه البشريّة بعد رسالته ، تُعطينا أوضحَ شاهدٍ ودليلٍ على ثبوت ذلك ، وإذا لاحظنا النماذج المعلّمة الهادية من النوع الإنساني ، التي شاهدتها البشرية بعد الرسول المعلّم ﷺ رأيناها تدلُّ أقوى الدلالة على عِظم هذا المعلّم المربّي الكبير ، الذي تَتقاصَرُ أمامَه أسماء كلِّ الكبار الذين عُرفوا وذُكروا في عالَم التعليم والتربية وتاريخِهما ، فأيُّ معلّم من المربّين تخرَّج على يديه عددٌ أوفَرُ وأهدى من هذا الرسول الكريم ، الذي تخرَّج به هؤلاء الأصحابُ والأتباع؟ فكيف كانوا قبلَه ؟ وكيف صاروا بعده ؟ إن كل واحد من هؤلاء الأصحاب دليلٌ ناطق على عِظَم هذا المعلّم المربّي الفريد الأوحد ، وهذا يُذكّرنا بكلمةٍ طيبةٍ جدّاً لبعض الجَهابذة الأصوليين ، يقول فيها : لو لم يكن لرسول الله ﷺ معجزةٌ إلا أصحابَه ، لَكَفَوْه لإثبات نبوته ". (أبو غدَّة ، د.ت : ص ٥)

ولا غرابة أن يَتخرَّجَ على يديه ﷺ هذا العددُ الجمُّ الغفيرُ من الناس ، في فترة وجيزةٍ من الزمن ، فإنه قد سَلَك بهم ‘ مسلكَ التعليم الجَماعي المستَنْفَر ، ودَفَعَهُم إلى محْوِ العاميّةِ دَفْعاً ، وحَضَّهم على ذلك ونَدَبَهم إليه ، وحذَّرهم من الفُتور فيه تحذيراً شديداً، ولذلك أقبل أولئك الناس يَتلقَّون العلم ، ويتفقَّهون في الدين ، ويُعلِّم بعضهم بعضاً ، ويتعلَّم بعضهم من بعض ، حتى أزالوا العاميّة عنهم في وقتٍ قصير عاجل.

فالرسول ﷺ في تعليمه لأصحابه ﷺ الذي استمرّ في تأسيسه ثلاثاً وعشرين سنة متواصلة ، وقد شملت الجزيرة العربية ، وبدأت تخطط للتطلع إلى الخروج منها عن طريق الوفود والمكاتبات ، وهو لا يزال حياً مع إشرافه عملياً على حياة وسلوك الصحابة ، أطفالاً وراشدين ، كل ذلك جعله معلماً إنسانياً عالمياً بكل ما في التعليم السليم من مفاهيم ، بل إنَّه أعظم معلم بفضل تأثيره العميق في شعوب وأجيال على وجه هذا الكوكب الأرضي المعمور علماً ويقيناً وأخلاقاً .

---

١ ـ المعنِّت : الذي يُوقع غيرَه في العَنَت ، والعنتُ له معان كثيرة ، والمناسِب منها هنا : المشقّة ، والأذى . والمتعنِّت : هو الذي يطلب زَلّة الآخَر وأذاه . (أبو غدَّة ، د.ت : ص ٥)

٢,٦,٢ خصائص المعلّم المثالي

وبيان خصائص هذا الرسول المعلّم وفضائِله ، وشَرَفِ أخلاقِهِ وشمائِله ، تتبدّى منها جوانبُ شخصيتِه العامّة ومعرفَتُها من تمام معرفة شخصيته التعليميّة ، التي هي جزء منها ولا يَستقلُّ عنها ، كما يتبدّى منها أيضاً مَبعثُ قبول أقواله وأحكامه الصادرة عنه ، والتأسّي بأفعاله الواردة منه ، ومَدى وَقْعِها في النفوس ، وهي تشمل كلَّ جانبٍ من جوانب الحياة والدين ، وفي هذه الكلمات أيضاً هَدْيٌ وإرشادٌ لما ينبغي أن يكون عليه المعلّم في سيرتِه ، وفِكرِه ، وخُلقِه ، وعملِه ، ومعاملتِه ، ومنطِقِه ومَظهرِه ، ومخبرِه ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٢١] [١].

قال الماورْدي (١٤٠٦هـ ١٩٨٦م : ص ١٨١-١٩٧)، المولود سنة ٣٦٤ ، والمتوفى سنة ٤٥٠هـ ، وهو يتحدَّثُ عما خَصَّ اللهُ به رسولَه ﷺ من المزايا والخصائص وفي بيان جوانب من شخصية هذا الرسول الكريم والمعلّم العظيم ﷺ ما مُلخَّصُهُ [٢] :

لمّا كان أنبياءُ الله صفوة عباده وخيرةَ خَلْقِه ، لِما كلَّفَهم من القيام بحقّه ، استخلصهم من أكرم العناصر ، وأمدَّهم بأوكد الاواصر ، حِفظاً لنسبِهم من قَدْح ، ولمنصبِهم من جَرْح ، لتكون النفوس لهم أوطى ، والقلوب لهم أصفى ، فيكون الناس إلى إجابتهم أسرع ، ولأوامرهم أطوع .

وقد كانت آياتُ النبوة في رسول الله باهرة ، وشواهِدُهُ قاهرة ، تشهَدُ مَباديها بالعواقب ، فلا يَلتبِسُ فيها كِذبٌ بصدق ، ولا مُنْتَحِلٌ بمُحِقّ ، وقد أرسله الله بعد الاستخلاص ، وطهَّره من الأدناس فانتفَتْ عنه تُهَمُ الظنون ، وسَلِمَ من ازدراء العيون ، لا يَدفعُهُ عقل ، ولا يأباه قلب ، ولا تَنفِرُ عنه نفس .

---

١ - أبو غدَّة ، د.ت : ص ١٩ .

٢ - ومن غريب التوافق أن المعاني التي أشار إليها الإمامُالم اورديُّإم امُالم شرقف يع صره ، في كلماته الآتية في بيان مزاياالشخ صيةالنبوي ةالكريم ة ،ق دأش ارإليه ابإجم الِعَ صْريُّةُإم ام المغرب الإم امابن حَزْم ،ف يكتاب ه ((الفِ صَلف يالمِلَ لوالأه واءوالنِّحَ ل)) ٢ : ٨٨- ٩١م ن طبعة صُبيح بالقاهرة سنة ١٣٨٤ ، حتى كأنَّ أحدهما قداس تَقىم نالآخَ رفِك رَه أوح اوَرَهفي ه ، ولكن لا غرابة في تقارُب النَّظر ، وتوافُق الفِكَرب ينإم امي الم شرقوالمغ رب ،لأنهم اينطلق ان من مَهْيَعٍ واحد ، هوت شخيصُالمزاي اال تي اتَّ صفَبه ارس ول الله ، ،وه يبادي ةٌللمَ شْرقيكم ا تبدو للمَغْربي على سواء ، وقد كانت وفاةُ الماوردي سنة ٤٥٠ ببغداد ، ووفاةُ ابن حزم سنة ٤٥٦ في بلدة لُبْلبة من بلاد الأندلس . (انظر: أبو غدَّة ،د.ت : ص٢٠)!!

فهو المهيَّأ لأشرف الأخلاق وأجمل الأفعال ، المؤهَّلُ لأعلى المنازل وأفضل الأعمال ، لأنها أصولٌ تَقودُ إلى ما ناسَبَها ووافقَها ، وتنفِرُ ما باينها وخالفها . ولا منزِلة في العالم أعلى من النبوّة التي هي سِفارةٌ بين الله تعالى وعبادِه ، تبعَثُ على مصالح الخَلْق وطاعةِ الخالق، فكان أفضل الخلق بها أخصَّ ، وأكملهم بشروطها أحقَّ وأمَسّ.

ولم يكن في عصر الرسول ﷺ وما دانى طَرَفَيْهِ مَن قارَبَه في فَضْلِهِ ، ولا داناه في كماله ، خَلقاً وخُلُقاً، وقولاً وفعلاً، وبذلك وصفه الله تعالى في كتابه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم : الآية ٤] .

والفضل وإن لم يكن من مُعجزات النبوة ، لانه قد يُشارَكُ فيه ، فهو من أمارتها . وتكامُلُ الفضل مُعْوِز[١] ، فصار كالمُعْجِز ، وكمالُ الفضل موجِبٌ للصدق ، والصَّدق موجِبٌ لقبول القول ، فجاز أن يكون الفضلُ من دلائل الرُّسُل .

فإذا وَضَح هذا ، فالكمال المعتَبَر في البَشَر ، يكون من أربعة أوجه : ١ ـ كمالُ الخَلْق ، ٢ ـ وكمالُ الخُلُق ، ٣ ـ وفضائل الأقوال ، ٤ ـ وفضائل الأعمال

١ ـ فأمّا الوجه الأول في كمال خَلْقِهِ بعد اعتدال صورته ، فيكون بأربعة أوصاف :

أحدها : السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم ، الداعية إلى التقديم والتسليم ، وكان أعظم مَهيب في النفوس ، حتى ارتاعت رُسُل كسرى من هَيْبَتِه حين أتوه ، مع ارتياضِهم بصَوْلَةِ الأكاسرة ، ومكاثرة الملوك الجبابرة ، فكان ﷺ في نفوسهم أهْيَب ، وفي أعينهم أعظم ، وإن لم يتعاظم بأُبَّهة ، ولم يتطاول بسَطْوة ، بل كان بالتواضع موصوفاً ، وبالسهولة معروفاً .

والثاني : الطلاقةُ الموجة للإخلاص والمحبّة ، الباعثة على المصافاة والمودّة ، وقد كان صلوات الله عليه وسلامه محبوباً ، ولقد استحكمتْ محبّةُ طلاقَتِه في النفوس ، حتى لم يَقْلِهِ مُصاحِب [٢] ، ولم يتباعد منه مُقارب ، وكان أحبَّ إلى أصحابه من الآباء والأبناء ، وشُرْب البارد على الظَّمَاء [٣] .

---

[١] ـ أعوزَ الشيءُ فهو مُعْوِز ، إذا عَزَّ فلم يوجَد . أي تكامُلُ الفضل عزيز . (أبو غدَّة ، د.ت : ص ٥)

٢ـ أي لم يُبغضه أو يكرهه مُصاحب .

٣ ـ الظَّماء : العطش الشديد .

والثالث : حُسنُ القبول ، الجالبُ لممايلة القلوب حتى تُسرِع إلى طاعته ، وتُذعِن بموافقته ، وقد كان قبولُ منظره ' مستولياً على القلوب ، ولذلك استَحكمت مصاحبتُه في النفوس ، حتى لم ينفِر منه مُعانِد ، ولا استوحَشَ منه مُباعِد ، إلاّ من ساقه الحسَد إلى شَقوتِه ، وقادهُ الحرمانُ إلى مخالفتِه .

والرابع : مَيْلُ النفوس إلى متابعته ، وانقيادُها لموافقته ، وثباتُها على شدائدِه ومُصابرتِه ، فما شَذَّ عنه معها من أخلصَ ، ولا نَدَّ عنه فيها من تخصص [١] .

وهذه الأربعة من دواعي السعادة ، وقوانين الرسالة ، وقد تكاملت فيه ، فكَمَل لما يوازيها ، واستحقَّ ما يقتضيها .

٢ ـ وأما الوجه الثاني في كمالِ خُلُقه ، فيكون بسِتّ خِصال :

الخِصلة الأولى : رجاحةُ عقله ، وصحّة وَهْمِه [٢] ، وصدقُ فِراسته ، وقد دلَّ على وفور ذلك فيه صحةُ رأيه ، وصوابُ تدبيره ، وحسنُ تأَلُّفه ، وانه ما استُغْفِلَ في مكيدة ، ولا استُعجِزَ في شديدة ، بل كان يَلحَظُ الأعجاز في المبادي [٣] ، فيكشِفُ عيوبَها ، ويحُلُّ خُطوبَها ، وهذا لا ينتظم إلاّ بأصدق وَهْم ، وأوضح حَزْم .

والخَصْلة الثانية : ثباتُه في الشدائد وهو مطلوب، وصبرُه على البأساء والضرّاء وهو مكروبٌ ومحروب [٤] ، ونفسُهُ في اختلاف الأحوال ساكنة ، لا يَخور في شديدة [٥] ولا يَستكين لعظيمة، وقد لَقِيَ بمكة من قريش ما يُشيبُ النواصي ، ويَهُدُّ الصَّياصي [٦] وهو مع الَعْف يُصابِر صبْرَ المستعلي ، ويثبُتُ ثبات المستولي .

والخَصلة الثالثة : زهدُه في الدنيا وإعراضُه عنها ، وقناعتُه بالبلاغ منها [٧]، فلم يَمِلْ إلى نضارتها ، ولم يَلْهُ بحلاوتها [٨] ، وقد مَلَك من

---

١ ـ أي عاشره طويلاً واختصَّ بصحبته .

٢ـ أي صحة ما يقع في ذهنه من الخواطر ، تقول في لغة العرب : وَهَمْتُ أَهِمُ وَهْماً ـ على وزن وعَدَ يَعِدُ وَعْداً ـ إذا وقع الشيءُ في خاطرك وخَلَدك . (انظر: أبو غدّة ، د.ت : ص ٢٠)

٣ـ أي يبصر عواقب الأمور في مبادئِها .

٤ ـ أي مُحارَب .

٥ ـ لا يخور : لا يضعف .

٦ ـ الصياصي : الحصون المنيعة .

٧ ـ البلاغ : اليسير الذي يُتوصَّل به إلى الغاية .

٨ ـ أي لم يأنس بها ويعجب بلذتها .

أقصى الحجاز إلى عِذارِ العراق[١] ، ومن أقصى اليَمَن إلى شَحْرِ عُمان [٢] ، وهو أزهد الناس فيما يُقتنى ويُدَّخَر ، وأعرضُهم عما يُستفاد ويُحتَكَر .

لم يُخلِّف عيْناً ولا دَيْناً ، ولا حَفر نهراً ، ولا شيَّد قصراً ، ولم يُورِّث ولده وأهله متاعاً ولا مالاً ، ليصرفهم عن الرغبة في الدنيا كما صرف نفسه عنها ، فيكونوا على مِثلِ حالِه في الزُّهد فيها .

وحقيقٌ بمن كان في الدنيا بهذه الزَّهادة ، حتى اجتَذَب أصحابَه إليها ، أن لا يُتَّهَم بطلبها، ويكذب على الله في ادّعاء الآخرة بها ، ويَقنَع في العاجل ، وقد سُلِب الآجل ، بالميسور النَّزْر ، ورضيَ بالعيش الكَدْر .

والخَصلة الرابعة : تواضُعُه للناس وهم أتباع ، وخفضُ جناحه لهم وهو مُطاع ، يمشي في الأسواق ، ويجلس على التُراب ، ويَمتزِجُ بأصحابه وجُلسائِه ، فلا يتميَّز عنهم إلاّ بإطراقِهِ وحيائِه ، فصار بالتواضع متميِّزاً ، وبالتذلُّل متعزِّزاً .

ولقد دخل عليه بعض الأعراب ، فارتاع من هيْبته ، فقال له : خَفِّضْ عليك [٣]، فإنما أنا ابنُ امرأةٍ كانت تأكل القَديد بمكة [٤] .

وهذا من شرف أخلاقه ، وكريم شِيَمه ، فهي غَريزة فُطِرَ عليها ، وجِبِلّةٌ طُبِعَ بها [٥] ، لم تَنْدُرْ فتُعَدُّ [٦] ، ولم تُحْصر فتُحَدّ .

والخصلة الخامسة : حِلمُهُ ووَقارُه عن طَيْشٍ يهُزُّه ، أو خُرْقٍ يستفِزُّه [٧] ، فقد كان أحلمَ في النِّفار من كل حليم [٨] ، وأسلمَ في الخِصام من كل سليم ، وقد مُني بجفوة الأعراب [٩] ، فلم يوجد منه نادرة [١٠] ، ولم يُحفظ عليه بادِرة [١١] . ولا حليمَ غيرَه إلاّ ذو عَثْرة ، ولا وَقور سِواه إلاّ ذو

---

١ ـ العِذار : الجانب .
٢ ـ أي ساحل بحر عُمان . (انظر : أبو غدّة ،د.ت : ص ٢٢)
٣ ـ أي سكّن قلبك واطمئن ولا تجزع مني .
٤ ـ القديد اللحمُ المجفَّف بالشمس .
٥ ـ الجِبِلّة : الخِلقة .
٦ ـ لم تندر ، أي لم تكن نادرة قليلةً فتعد .
٧ ـ الخُرْقُ : الجهل ، والحُمق .
٨ـ النِّفار : الجَزَعُ والخوف .
٩ ـ مُني : أُصيبَ .
١٠ ـ أي كلمةٌ نابيةٌ خارجةٌ عن المعتاد .
١١ ـ البادِرة : حِدّة الغضب السريعة .

هَفْوة ، فإن الله تعالى عَصَمه ، من نَزْغِ الهوى ، وطَيْشِ القُدرة بهفوة أو عَثْرة ، ليكون بأُمَّته رؤوفاً ، وعلى الخلق عَطوفاً .

وقد تناولتْهُ قريشٌ بكل كبيرة ، وقصدَتْهُ بكل جَريرة [1] ، وهو صبورٌ عليهم ، ومُعرِض عنهم ، وما تفرَّدَ بذلك سُفهاؤهم دون حُلمائهم ، ولا أراذِلُهم دون عُظمائهم ، بل تَمالأ عليه الجِلّةُ والدُّون [2] .

فكلما كانوا عليه من الأمر ألحَّ ، كان عنهم أعرضَ وأصفَح ، حتى قَهرَ فعفا ، وقدَرَ فغفَر وقال لهم حين ظَفِر بهم عامَ الفتح ، وقد اجتمعوا إليه : ما ظنُّكم بي؟ قالوا : ابنُ عمٍّ كريم ، فإنْ تعْفُ فذاك الظنُّ بك ، وإن تنتقِمُ فقد أسأنا ، فقال : بل أقول كما قال يوسف لإخوته : ﴿لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [سورة يوسف : الآية ٩٢]

وأتَتْهُ هندٌ بنتُ عُتْبة ، وقد بَقَرَتْ بطنَ عمِّه حمزة ، ولاكَتْ كَبِدَهُ [3] ـ فصفحَ عنها ، وبايَعَها .

والخَصْلة السادسة : حِفظُه للعَهْد ، ووفاؤُه بالوَعْد ، فغنه ما نَقَض لمحافظ عهداً ، ولا أخلفَ لمُراقِبٍ وعداً ، يرى الغَدْرَ من كبائر الذنوب ، والإخلافَ من مساوىء الشِّيَم ، فيَلتزِم فيهما الأغلظ ، ويرتكبُ فيهما الأصعب ، حِفظاً لعهده ، ووفاءً بوعده ، حتى يَبتدىء مُعاهِدوه بنقضه ، فيجعل اللهُ تعالى له مخرجاً ، كفعل اليهود من بني قُريظة وبني النَّضير ، وكفعل قُريش بصُلْح الحُدَيْبية ، فجعل الله تعالى له في نَكْثِهم الخِيَرة[4] فهذه سِتُّ خصال تكاملتْ في خُلُقِه ، فضَّله الله تعالى بها على جميع خَلْقِه .

٣ ـ وأما الوجه الثالث في فضائل أقواله ، فمعتَبَرٌ بثمانِ خصال

الخَصْلة الأولى : ما أوتي من الحكمة البالغة ، وأُعطيَ من العلوم الجَمّة الباهرة ، وهو أُمّيٌّ من أُمّةٍ أُمِّيّة ، لم يقرأ كتاباً ، ولا درس علماً ، ولا صَحِب عالماً ولا مُعلِّماً ، فأتى ‘ بما بَهَر العقول ، وأذهَلَ الفِطَن ، من إتقانِ ما أبان ، وإحكام ما أظهر ، فلم يَعْثُر فيه بزلل ، في قولٍ أو عمل ، وما هذه الفِطرة في الرسول ﷺ ، إلاّ من صَفاءِ جوهره ، وخُلوص مَخبَره .

---

١ ـ الجريرة : الجناية .

٢ ـ يقال : تمالأ القوم على كذا ، إذا اجتمعوا وتعاونوا عليه . وجِلّةُالق وم :عظم ،اؤهم .والـ دّون : الخسيس الحقير . (انظر : أبو غدّة ،د.ت : ص ٢٢)

٣ ـ أي مضَغَت كَبِد عمِّه حمزة في فمها حين بقَرَتْ بطنَه ، زيادة في التشفي بقتله .

٤ ـ أي ما هو الأفضل . (انظر : أبو غدّة ،د.ت : ص ٢٣)

والخَصْلة الثانية : حِفظُه لِما أطلعه الله تعالى عليه ، من قِصَص الانبياء مع الأمم ، وأخبار العالم في الزمن الأقدم ، حتى لم يَعزُب عنه منها صغير ولا كبير ، ولا شَذَّ عنه منها قليلٌ ولا كثير ، وهو لا يَضبطها بكتاب يَدْرسُهُ ، ولا يَحفَظُها بعينٍ تَحرسُه ، وما ذاك إلاّ من ذِهنٍ صحيح ، وصدْر فسيح ، وقلبٍ شَريح [١] ، وهذه الثلاثة آلةٌ ما استُدِعَ من الرسالة ، وحُمِّلَ من أعباء النبوة ، فجديرٌ أن يكون بها مبعوثاً ، وعلى القيام بها مَحثوثاً .

والخصلة الثالثة : إحكامُه لما شَرَع بأظهرِ دليل ، وبيانُه بأوضح تعليل ، حتى لم يَخرُجْ عنه ما يوجبُه معقول ، ولا دَخَلَ فيه ما تَدفَعُه العُقول ، لأنه نبَّهَ بالقليل على الكثير ، فكفَّ عن الإطالة ، وكشَفَض عن الجهالة ، وما تيسَّر له ذلك ، إلاّ وهو عليه مُعان ، وإليه مُقاد .

والخصلة الرابعة : ما أمَرَ به من محاسن الأخلاق ، ودَعا إليه من مُستحسَن الآداب ، وحَثَّ عليه من صِلةِ الأرحام ، ونَدَبَ إليه من التعطُّفِ على الضعفاء والأيتام ، ثم ما نهى عنه من التباغُض والتحاسُد ، وكفَّ عنه من التقاطع والتباعُد ، لتكونَ الفضائلُ فيهم أكثر، ومحاسِنُ الأخلاق بينهم أنشَر ، ومُستحسَنُ الآدابِ عليهم أظهر ، ويكونوا إلى الخير أسرع ، ومن الشرِّ أمنَع .

فيتحقَّقُ فيهم قولُ الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ١١٠] . فلَزِموا أوامرَه ، واتَّقوا زواجِرَه ، فتكاملَ بهم صَلاحُ دينهم ودُنياهم ، حتى عَزَّ بهم الإسلامُ بعدَ ضعفِه ، وذلَّ بهم الشِّركُ بعد عِزِّه ، فصاروا أئمةً أبراراً ، وقادةً أخياراً .

والخصلة الخامسة : وُضوحُ جوابِه إذا سُئل ، وظُهورُ حِجاجِه إذا جودِل [٢] ، لا يَحْصُرُه عِيّ [٣] ، ولا يَقطَعُه عَجْز ، ولا يُعارِضُه خَصْمٌ في جدال ، إلاّ كان جوابُه أوضح ، وحِجاجُه أرجح .

والخصلة السادسة : أنه محفوظُ اللسان من تحريفٍ في قول ، واسترسالٍ في خبرٍ يكون إلى الكذب منسوباً ، وللصدقِ مُجانباً ، فإنه فإنه لم يَزَلْ مشهوراً بالصدق في خَبَرِه ناشِئاً وكبيراً ، حتى صار بالصِّدق مَرقوماً [٤]، وبالأمانة مَوسوماً [١] ، وكانت قريش بأسْرِها تتيقَّنُ صِدقَه قبل الإسلام

---

١ - أي قلب واسع .

٢ - الحِجاج : المُجادلة .

٣ - أي لا يضايقه ولا يمنعه عن أداء مراده ضعف . (انظر : أبو غدّة ،د.ت : ص ٢٤)

٤ - أي مزيَّناً ومعرَّفاً .

، فجهروا بتكذيبه في استدعائهم إليه [٢] ، فمنهم من كذَّبه حَسَداً ، ومنهم من كذَّبه عناداً ، ومنهم من كذَّبه استبعاداً أن يكون نبياً أو رسولاً ، ولو حَفِظوا عليه كِذبةً نادرةً في غير الرسالة ، لجعلوها دليلاً على تكذيبه في الرسالة ، ومن لَزِمَ الصدقَ في صِغَره ، كان له في الكبر ألزَم ، ومن عُصِمَ منه في حقِّ نفسه ، كان في حُقوق الله تعالى أعصَم ، وحَسْبُك بهذا دَفْعاً لجاحِد ، ورَدّاً لمعانِد .

والخصلة السابعة : تَحريرُ كلامه في التوخّي به إبّانَ حاجتِه ، والاقتصارُ منه على قَدْرِ كفايتِه ، فلا يَسترسِلُ فيه هَذَراً [٣] ، ولا يُحْجِمُ عنه حَصَراً ، وهو فيما عدا حالتيْ الحاجة والكِفاية ، أجملُ الناسِ صَمْتاً ، وأحسنَهُم سَمْتاً [٤] ، ولذلك حُفِظَ كلامُه حتى لم يَخْتَل ، وظَهَرَ رَوْنَقُهُ حتى لم يَعْتَلّ ، واستَعذَبَتْه الأفواه ، حتى بقي محفوظاً في القلوب ، ومُدوَّناً في الكُتُب .

والخصلة الثامنة : أنه أفصحُ الناس لِساناً ، وأوضَحُهم بياناً ، وأوجَزُهم كلاماً ، واجْزَلُهم ألفاظاً ، وأصحُّهم مَعانيَ ، لا يَظهَرُ فيه هُجْنَةُ التكلُّف [٥]، ولا يَتخَلَّله فيْهَقَةُ التَّعسُّف [٦] ، وقد دُوِّنَ كثيرٌ من جوامع كَلِمه ومن كلامه الذي لا يُشاكَلُ في فصاحته وبلاغته ، ومع ذلك فلا يأتي عليه إحصاء ، ولا يَبلُغُه استقصاء .

ولو مُزِجَ كلامُه بغيره لتميَّز بأسلوبه ، ولظَهَر فيه آثارُ التنافر، فلم يَلتبس حَقُّه من باطِله ، ولَبانَ صِدقُه من كذبِه [٧].

هذا ، ولم يكن مُتعاطِياً للبلاغة ، ولا مُخالِطاً لأهله من خُطَباءَ أو شُعراءَ أو فُصحاء [٨]، وإنما هو من غرائز فِطْرَتِه ، وبِدايةِ جِبِلَّتِه [١] ، وما ذاك إلاّ لِغايةٍ تُراد ، وحادثةٍ تُشاد [٢] .

١- أي صارت الأمانة له وساماً وعلامة . أي صارت الأمانة له وساماً وعلامة .

٢- أي حين طلب منهم أن يستجيبوا لما دعاهم إليه من الدين .

٣ - يقال : هذر الرجلُ في منطقه هَذْراً وهَذَراً : إذا تكلَّم بما لاينبغ ي .وهَ ذِرَكلامُ ههَ ذَراً :كثُ رَ فيه الخطأ والباطل . (انظر : أبو غدّة ،د.ت : ص ٢٦)

٤ - السَّمتُ هنا : السكينةُ والوقار .

٥- هُجنةُ التكلُّفِ : قُبحُه وعَيْبُه .

٦ - فيْهَقَةُ التَّعسُّف : التوسُّع والتنطُّع في النطق . (انظر : أبو غدّة ،د.ت : ص ٢٦)

٧ - يعني : لو كُذِبَ عليه ، وقيل على لسانه كلامٌ لم يقله ، لعُرِفَ كلامُه الحقُّ من الكلامالباط ل المكذوب عليه ، بأمارةِ فصاحته وتميُّز أسلوبه . (انظر : أبو غدّة ،د.ت : ص ٢٧)

٨ - أي لم يكن مخالطاً لهؤلاء على سبيل التعلُّم والتلقف منهم .

٤ ـ **وأما الوجه الرابع في فضائل أفعاله** ، فمختَبَرٌ بثمانِ خِصال:

الخَصْلة الأولى : حُسْن سيرته ، وصِحّةُ سِياستِه ، في دينٍ نقلَ به الأُمّة عن مألوف ، وصرَفهم به عن معروفٍ إلى غير معروف [٣] ، فأذْعَنَتْ به النفوسُ طوْعاً ، وانقادَتْ له خوفاً وطَمَعاً ، وليس ذلك بالسهل اليسير ، إلاّ لمن كان مع التأييد الإلهي مُعاناً بحَزْمٍ صائب ، وعزْمٍ ثاقب .

ولئن كان مأموراً بما شرع ، فهي الحُجّةُ القاهرة ، ولئن كان مجتهداً فيه فهي الآيةُ الباهرة ، وحسبُك بما استقرَّتْ قواعدُه على الأبد ـ حتى انتقَلَ عن سَلَفٍ إلى خَلَف تزدادُ فيهم حلاوتُه ، وتشتدُّ فيهم جِدَّتُه ، ويَرَوْنه نظاماً لأعصار تتقلَّبُ صُروفُها ، ويختلف مألوفُها ـ أن يكون لمن قام به بُرهاناً ، ولمن ارتاب به بياناً .

والخَصْلة الثانية : أنه جَمَع بين رغبةٍ من استمال ، ورهبةٍ من استطاع ، حتى اجتمع الفريقان على نُصرتِه ، وقاموا بحقوق دعْوتِه ، رَغَباً في عاجل وآجل ، ورَهباً من زائلٍ ونازِل ، لاختلافِ الشِّيَم والطباع في الانقياد الذي لا يَنتظمُ بأحدهما ، ولا يَستديمُ إلاّ بهما ، فلذلك صار الدّين بهما مستقراً ، والصلاح بهما مستمراً .

والخَصْلة الثالثة : أنه عَدَلَ فيما شَرَعه من الدين عن الغُلوِّ والتقصير ، إلى التوسُّط ، وخيرُ الأمور أوساطُها . لأنه العَدْلُ بين طرَفَيْ سَرَفٍ وتقصير ، وليس لما جاوَزَ العدلَ حظٌّ من رشاد ، ولا نصيبٌ من سَداد .

والخَصْلة الرابعة : أنه لم يَمِلْ بأصحابه إلى الدنيا ، ولا إلى رَفْضِها ، وإنما أمَرهم فيها بالاعتدال ، لأن منها يَتزوَّدُ المرءُ لآخرتِه، ويستكثر فيها من طاعتِه ، ولأنه لا يخلو تاركُها من أن يكون محروماً مُضاعاً ، أو مرحوماً مُراعى ، وهو في الأوَّل كَلّ ، وفي الثاني مُستَذَلّ .

والخَصْلة الخامسة : تَصدّيه لمعالِم الدين ، ونوازِل الأحكام ، حتى أوضح للأُمّة ما كُلّفوه من العبادات ، وبيّن لهم ما يَحِلُّ ويَحرُمُ من مُباحاتٍ ومحظورات ، وفصَّلَ لهم ما يجوزُ ويمتنعُ من عقود ومناكحَ ومُعاملات ، حتى احتاجَ أهلُ الكتاب في كثيرٍ من معاملاتهم ومَواريثهم لشرعِه ، ولم يَحتَجْ شرعُه إلى شَرْع غيره .

---

١ ـ أي خِلقتِه .

٢ـ وهي القيام بأعباءِ النبوة وإبلاغِها للناس .

٣ـ أي صَرَفهم عن شيءمع روفعذ دهمم ألوفبيِ نهم ،إل ىأم رجديِ دعل يهم ،غي رمع روفٍ لديهم ، وفي التمكن من ذلك صُعوباتٌ لا تخفى جَسامتُها . (انظر : أبو غدّة ،د.ت : ص ٢٧)

ثم مهَّدَ لشرعه أُصولاً تَدُلُّ على الحوادث المُغْفَلة ، وتُستنْبَطُ لها الاحكام المعلَّلة ، فأغنى عن نَصٍّ بعد ارتفاعه ، وعن التباس بعد انقطاعه ، ثم أمَرَ الشاهد أن يُبلِّغَ الغائب ليَعلضم بإنذاره ، ويحتجَّ بإظهاره ، فأحكَمَ ما شَرَعَ من نصٍّ وتنْبيه ، وعمَّ الناس بما أمر من حاضرٍ وبعيد ، حتى صار لما تَحَمَّله من الشرع مُؤَدِّيا ، ولما تَقلَّده من حقوق الأُمّة مُوَفِّيا ، لئلا يكون في حقوق الله زَلَل ، ولا في مصالح الأمّة خَلَل ، وذلك في بُرهةٍ من زمانه ، لم يَستوفِ تَطاوُلُ الاستيعاب ، حتى أوجَز وأنجَز ، وما ذاك إلاّ بديعٌ مُعْجِز .

والخَصْلة السادسة : انتصابُه لجهادِ الأعداء ، وقد أحاطوا بجهاته ، وأحدقوا بجَنَباته ، وهو في قُطْرٍ مهجور ، وعَدَدٍ محقور ، فزاد به من قَلَّ ، وعزَّ به من ذَلّ ، وصار بإثخانِه في الأعداء مَحذوراً [1] ، وبالرُّعبِ منه منصوراً ، فجمع بين التصدّي لشرع الدين حتى ظَهَر وانتشَر ، وبَيْ الانتصاب لجهاد العدو حتى قَهَر وانتصر ، والجمعُ بينهما مُعْوِز إلاّ لمن أمَدَّه الله بمعونته ، وأيَّده بلُطفه ، والمُعْوِز مُعْجِز .

والخَصْلة السابعة : ما خُصَّ به من الشجاعة في حُروبه ، والنَّجدةِ في مُصابرةِ عَدوِّه ، فإنه لم يَشهد حَرْباً فيها أفْزاع ، إلاّ صابَرَ حتى انجلَتْ عن ظَفَرٍ أو دِفاع ، وهو في مَوقفِه لم يَزُلْ عنه هَرَباً ، ولا انحاز منه رَغَباً ، بل ثَبَتَ بقلبٍ آمن ، وجأشٍ ساكِن .

قد ولّى عنه أصحابُه يوم حُنَيْن ، حتى بَقِيَ بإزاءِ جَمْعٍ كثير ، وجَمٍّ غَفير ، في تِسعةٍ من أهل بيته وأصحابه ، على بَغْلةٍ مسبوقةٍ إن طُلِبَتْ ، غير مستعدةٍ لهَرَبٍ ولا طَلَب ، وهو ينادي أصحابه ، ويُظهرُ نفسه .

فعادوا أفذاذاً وأرْسالاً [2] ، وهَوَازِنُ تراه وتُحجِمُ عنه ، فما هاب حَرْبَ مَنْ كاثَرَه ، ولا انكفَأ عن مُصاوَلةِ من صابَرَه ، وقد عَضَده الله بإنجادٍ وأجْناد فانحازوا وصَبَر ، حتى أمَدَّه الله بنصره ، وما لهذه الشجاعة من عَديل .

وما ذاك إلاّ عن ثِقَةٍ من أنَّ الله تعالى سينصُرُه ، وأنَّ دينه سيُظهرُه تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ ﴾ [سورة التوبة : الآية ٣٣] ، وتصديقاً لقول رسول الله ‘ : ((زُوِيَتْ لي الأرضُ ، فرأيتُ

---

١ ـ أثْخَن في العدوّ إذا بالغ في قتاله . أثْخَن في العدوّ إذا بالغ في قتاله . (انظر : أبوغ دّة ،د.ت : ص ٢٨)

٢ ـ الأفذاذ جمع فَذّ ، وهو الفَرْد . والأرسال جمع رَسَل ، وهو الجماعة .

مَشارقَها ومَغاربَها ، وسيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتي ما زُوِيَ لي منها)) (مسلم ، ١٣٧٥هـ : ١٣/١٨). وكفى بهذا قياماً بحقه ، وشاهداً على صِدقِه .

والخَصْلة الثامنة : ما مُنِحَ من السَّخاء والجود ، حتى جادَ بكل موجود ، وآثَرَ بكل مطلوب ومحبوب ، ومات ودِرْعُهُ مَرهونةٌ عند يَهوديّ ، على آصُعٍ من شعيرٍ لطعامِ أهلِه[١]، وقد مَلَك جزيرةَ العرب وكان فيها ملوكٌ وأقيال [٢] ، لهم خزائنُ وأموال ، يقتنونها دُخْراً ، ويتباهون بها فخْراً ، ويستمعون بها أشَراً وبَطَراً ، وقد حاز مُلْكَ جميعِهم ، فما اقتنى ديناراً ولا دِرهماً ، لا يأكلُ إلاّ الخَشِبَ [٣] ، ولا يلْبَسُ إلاّ الخَشِنَ ، ويُعطي الجَزْلَ الخطير ، ويَصِلُ الجمَّ الغفير ، ويَتجرَّعُ مَرارةَ الإقلال ، ويَصبرُ على سَغَب الاختلال[٤] .

وروى أبو وائل ، عن مسروق ، عن عائشة : قالت : ((ما تَرَك رسولُ الله ديناراً ولا درهماً ولا شاةً ولا بعيراً ، ولا أوصى بشيء)) . (مسلم ، ١٣٧٥هـ : ٨٩/١١) [٥] .

وروى عَمْرو بن مُرّة ، عن سُوَيد بن الحارث ، عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : ((ما يَسرُّني أنَّ لي أُحُداً ذهباً ، أُنفِقُه في سبيل الله ، أموتُ يوم أموتُ وعندي منه دينار ، إلاّ أن أُعِدَّه لغريم)) (الدارمي ،١٤١٢هـ ١٩٩١م : ٢٢٣/٢) .

وكان إذا سُئل العطاءَ وهو مُعْدِم ، أمَرَ السائل بالشراءِ عليه ، ولم يَرُدَّه صِفراً ، روى هشام بن سعد ، عن زيد بن أسْلم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : ((أن رجلاً جاء إلى النبي ، فسأله أن يعطيه ، فقال النبي ﷺ : ما عندي شيء ،ولكن ابتَعْ عليّ ، فإذا جاءني شيء قضيتُه . فقال عمر : يا رسول الله ، قد أعطيتَه ، فما كلَّفك الله ما لا تَقْدِرُ عليه ، فكره ‘ قول عمر . فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ، أنفقْ ولا تَخَفْ من ذي العرش إقْلالاً ، فتبسَّم رسول الله ‘ ، وعُرِف في وجهه البِشْرُ لقول الأنصاري ، ثم قال : بهذا أُمِرتُ)) (الترمذي ، ١٤٠٥هـ : ص ٢٢٥).

١- الآصُع : جمعُ صاعٍ ، وهو مكيالٌ تُكالُ به الحبوبُ ونحوها .

٢ - الأقيال جمع قَيْل وهو المِلِكُ من ملوك اليمن في الجاهلية ، دون الملك الأعظم .

٣ - الخَشِبُ كالخَشِن لفظاً ومعنى . واخشَوشَب فيمطعم ههصد ارصدُ لبأخ شِنافيه . (انظ ر :أبو غدّة ،د.ت : ص ٢٧)

٤ - السَّغب : الجوع . (انظر : أبو غدّة ،د.ت : ص ٢٩)

٥ - وأبو داود ، ١٣٧١هـ : ٣ / ١٥٢ .

وكان ﷺ يقول : ((أنا أولى بالمؤمنين من أنفُسِهم ، فمن تُوفّي من المؤمنين فتَرَك دَيْناً فعليَّ قضاؤُه ، أو ضَياعاً فليأتِني وأنا مولاه ، ومن ترَك مالاً فلِوَرَثَتِه)) (البخاري ، د.ت : ٣٩٠/٤) .

فهل مثلُ هذا الكرم والجود ، كرمٌ وجود ؟ أم هل مِثل هذا الإعراض والزَّهادة ، إعراضٌ وزُهْد؟ هيهات أن يُدْرَكَ شَأْوُ مَنْ هذه شُذورٌ من فضائِلِه ، ويَسيرٌ من مَحاسِنِه ، التي لا يُحصى لها عَدَد ، ولا يُدرَكُ لها أمَد ، لم تكْمُلْ في غيرِه فيُساويه ، ولا كَذَّبَ بها ضِدٌّ يُناويه [1] ، ولقد جَهَد كلُّ مُنافق ومُعانِد ، وكلُّ زنديق ومُلْحِد ، أن يُزرِيَ عليه في قولٍ أو فعل ، أو يَظفَرَ بهفْوةٍ في جِدٍّ أو هَزْل ، فلم يَجِد إليه سبيلاً وقد جَهَد جُهدَه ، وجَمَعَ كَيْدَه! فأيُّ فضلٍ أعظَمُ من فَضْلٍ شاهَدَه الحَسَدةُ والأعداء ، فلم يَجدوا فيه مَغْمَزاً لثالِبٍ أو قادِح ، ولا مَطعَناً لجارحٍ أو فاضح ، فهو كما قال الشاعر :

شَهِدَ الأنامُ بفضلِهِ حتى العِدا والفَضْلُ ما شَهِدَتْ بهالأعداءُ

وحقيقٌ بمن بَلَغ من الفضائل غايتَها ، واستكمَلَ لغاياتِ الأمور آلتها ، أن يكون لزعامةِ العالَم مُؤهَّلاً ، وللقيام بمصالح الخلق مُوكَّلاً ، وأن يَعُمَّ به الصلاح ، ويَنْحَسِمَ به الفساد ، ولا غايَةَ بعد النُّبوّة ، فاقتضى أن يكون لها أهلاً ، وللقيام بها مؤهَّلاً ولذلك استقرَّتْ به حين بُعِثَ رسولاً ، ونَهَضَ بحُقوقِها حين قام بها كفيلاً ، فناسبَتْه ، ولم يَدْهَلْ لها حين أتَتْه ، وكلُّ مُتَناسِبَيْنِ مُتَشاكِلانِ ، وكلُّ مُتَشاكِلينِ مؤتلِفان ، وكلُّ مؤتلِفَينِ متفقان ، والاتفاقُ وِفاق ، وهو أصلُ كلِّ انتظام ، وقاعدةُ كلِّ التئام .

فكان ذلك من أوضح الشواهِدِ على صِحّةِ نُبوَّتِه ، وأظهرِ الأماراتِ في صِدْقِ رسالتِه ، فما يُنكِرُها بعد الوُضوح ، إلاّ مَفْضوح ، والحمد لله الذي وفّق لطاعتِه ، وهَدى إلى التصديقِ برسالتِه " انتهى كلامُ الإمام الماوردي ملخصاً مع زيادة وتصرُّفٍ يسير. (انظر: أبو غدَّة ، د.ت : ١٩-٣٣)

هذا ما أورده الماوردي في بيان جوانب من خصائص الرسول الكريم والمعلّم العظيم ﷺ الذي تجلّى فيه بوضوح مدى عمق شخصية الرسول ﷺ التعليمية ومعالم هذه الشخصية والخصائص التي تحلى بها الرسول ﷺ ، والتي أهلته ليكون معلماً عظيماً لأجيال كثيرة ومتتابعة من المسلمين المؤمنين بالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً ، والذين يسيرون على سننه وهديه في كل زمان من الأزمنة وكل بقعة من بقاع الأرض .

---

١ - أي يُعاديه . بل أقرَّ بها أعداؤه وأولياؤه جميعاً . (انظر : أبو غدّة ،د.ت : ص ٣٣)

٣,٦,٢ أقوال الصحابة وشهاداتهم لمعلمهم رسول ﷺ

الصحابة ﷺ هم نقلة السنة النبوية والشهود على الرسالة السماوية ، وهم الذين نذروا أنفسهم في سبيل نشر هذه الرسالة التي امتزجت بها دماؤهم وأرواحهم مما يوجب لهم فضلا عظيما على كل من جاء بعدهم ، لأن الله تعالى جعلهم سبباً في هداية غيرهم ، مما يدخلهم في قوله ﷺ : ((من علّم علماً فله أجر مَن عَمِل به لا ينقص مِن أجر العامل)).(ابن ماجة ، ١٩٥٣م : ١٠٥/١) ، وسأذكر أقوال وشهادات من أقوال الصحابة ﷺ تُثبت على شخصيّة الرسول ﷺ التعليمية منها ما روي عن الإمام البخاري (د.ت : ٩٣/٢) [١] البخاري عن مالك بن الحُوَيرث _ قال : ((أتَينا رسول الله ﷺ ونحن شَبَبَةٌ مُتَقاربون [٢] ، فأقمنا عنده عِشرين ليلة ، وكان رسول الله رَحيماً رَفيقاً ، فلما ظَنَّ أنّا قد اشتَقْنا أهلنا ، سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه ، قال : ارجعوا إلى أهليكم ، فأقيموا فيهم ، وعلّموهم ومُروهم ، وصلّوا كما رأيتموني أصلّي ، فإذا حضرتْ الصلاة ، فليُؤَذّن لكم أحدُكم ، ولْيَؤمَّكم أكبركم)) في هذا الحديث الشريف من الأمور التعليمية : ارتحالُ الشباب جماعةً إلى العالِم ، ليتلقّوا منه العِلم ، وليأخذوا عنه الفقه في الدين ، ولِيَصْطحِبوه فترةً من الزمن ، فيَشهدوا منه سُلوكه ، وهَدْيَهُ وعَمَله ، فتَستَنير بذلك أفهامهم بقُربهم منه ومُلازمتهم له ، ويأخذوا العلم مصحوباً بالعمل به ، فيكون أوضح في نفوسهم ، وأطيب في سلوكهم ، كما كان شأن صحابة النبي ‘ ، وفي هذا الحديث أيضاً النظرُ إلى ذاته الشريفة ‘ التي هي مَجْمَعُ القُدوة ونموذج الإنسان الكامل ، وفيه أيضاً : تعلُّم أحكام الشريعة منه ‘ ، وفيه أيضاً : أن الأفضل بالمتعلّم أن يقصد من علماء عصره : الأوفى علماً ، والأعلى فهماً ، فقد كان آباءُ هؤلاء الشباب صَحابةً لرسول الله ‘ ، التَقَوْا به وأخذوا عنه ، وعَلِموا منه ، فما اكتفى هؤلاء الشباب بالأخذ منهم ، بل قَصَدوا سيدَ العلماء ، وتاجَ الأنبياء ، وأعلم البشر ‘ ، وخصَّ رسول الله ﷺهنا : الأكبر بالإمامة للصلاة فيهم ، نظراً إلى تساويهم في العلم والتعلم منه ‘ ، فإذْ تساوَوْا في ذلك كان وصف الكِبَر فيهم صفة مميزة للكبير على من دونه في السن ، فيُقدَّمُ الكبير ، أما إذا كان بعضهم أعلم من بعض فيقدَّم الأعلم على من سواه ، لأن صفة العلم أعلم وأشرف من صفة كِبَر السن . (

---

١ - ومسلم ، ١٣٧٥هـ : ٥/ ١٧٤.

٢ - الشببة جمعُ شابّ ، ومتقاربون أي في السِّنّ والعُمر . (أبو غدّة ، د.ت : ص ١١)

أبو غدّة ، د.ت : ص١١)

وروى الترمذي في (١٤٠٥هـ : ص١٤٠) عن عائشة قالت : ((ما كان رسول الله ﷺ يَسْرُدُ كسَرْدِكم هذا [١] ولكن كان يتكلم بكلامٍ بيِّنٍ فَصْل [٢] ، يحفظه من جلس إليه)) . وروى الترمذي أيضاً (١٤٠٥هـ : ص١٤٠) عن أنس _ قال : ((كان رسول الله ﷺ يُعيدُ الكلمة ثلاثاً لِتُعقَلَ عنه)) " أي لتُفهم عنه ، وتَثبُت في ذهن السامعين ، وذلك لكمال هدايته وشفقته ‘ بأُمَّتِه عامّة ، وبالمتعلّمين خاصة ، ويدلُّ هذا الحديث الشريف على أنه ينبغي للمعلّم أن يتمهل في تقريره لما يُعلّمُه ، ويبذُل الجهد في بيانه ، ويُعيدَه حتى يُفهم عنه " .

وروى الترمذي أيضاً (١٤٠٥هـ :ص ١٤١-١٤٣) عن الحَسَن بن علي ، قال : سألتُ خالي هِنْدَ بن أبي هالة ، وكان وَصّافاً لرسول الله ﷺ، فقلتُ : صِفْ لي رسول الله ﷺ ، فقال : ((كان رسول الله مُتواصِلَ الأحزان [٣]، دائمَ الفِكرة ، ليست له راحة ، طويلَ السَّكْت ، لا يتكلم في غير حاجة ، يَفتَتِحُ الكلام ويختِمُه باسم الله تعالى ويتكلّم بجوامع الكَلِم ، كلامُه فَصْل [٤] ، لا فُضولَ ولا تقصير [٥]، ليس بالجافي ولا المَهين [٦] ، يُعظّمُ النِّعمةَ وإن

---

١ - أي ما كان يأتي بالكلام متتابعاً يستعجل به ، فإنه - إذا كان كذلك - يورث لبْساً على السامعين ، ولا يُمكّنهم من فهمه وحفظه . (أبو غدَّة د .ت : صً ١٢)

٢ - أي ظاهرٍ واضحٍ مفصولٍ متميزٍ بعضُه من بعض ، بحيث يتبيَّنُه من يسمعُه ، ويُمكنُه عدُّه و أراد عدَّه مثلاً . وهذا أدعى لحفظه ورُسوخِه في ذهن السامع ، إذْ يتروّاه تروِّياً ،فلا يتبقى له فيه شُبهة ولا غموض . (أبو غدَّة د .ت :ًص ١٢)

٣ - قال العلماء : ليس المراد بهذا : التألُّمَ على فَوْتِ مطلوب أو حصول مكروه من أمر دنيا ، فإن هذا لم يكن من حال رسول الله ‘ ، بل المراد : أنه كان دائم الاهتمام والتفكير فيما يستقبله من الامور العظيمة ، وشؤون الدعوة إلى الله تعالى ،وجَدّ بالناس إليه وإدخال الهم فيها ،مع ما هو عليه من جهادِ المشركين ، وتعليم الجاهلين ،والقيام بعبادة الله تعالى على أكمل وجه ،ويُفسِّرُ ذلك قولُ واصِفِه بعد هذه الجملة : دائمَ الفِكرة ، ليست له راحة ،طويل السَّكْت . (أبو غدَّة ، د .ت : صً ١٣)

٤ - أي فاصِلٌ مُبين لما قاله ،في بأتمِّ البيان ،تَقبَلُه العقول لذ صاحته وحَقَّيَّته ،وتَستلِذُّه الأسماع لفصاحتِه وجَزالتِه . (أبو غدَّة ، د.ت :ًص١٢- ١٣)

٥- أي لا إفراط فيه ولا تفريط .

١- أي ليس بغليظِ الطبع ثقيل النفس .وقوله : ولا المَهين : أي ليس به وبالمحتَقَر المبتذَل ،بل كان مَهيباً مُوَقَّراً ،من رآه بَديهةً هابَهُ ،ومن خالطه مُعرفةً أحبَّه . (أبو غدَّة ، د.ت :ًص١٢- ١٣)

دَقَّتْ [١] ، لا يَدُمَّ منها شيئاً ، غيرَ أنه لم يكن يَدُمُّ ذَواقاً ولا يَمدَحُه [٢] ، ولا تُغضِبُه الدنيا ولا ما كان لها [٣] ، فإذا تُعدِّيَ الحقُّ لم يَقُمْ لغضبه شيءٌ حتى ينتصر له [٤] ، ولا يَغضَبُ لنفسه ولا ينتصر لها ، إذا أشارَ بكفِّه كلِّها ، وإذا تَعجَّب قَلَبها ، وإذ تحدّثث اتَّصل بها وضرب براحتِه اليُمنى بَطنَ إبهامِه اليُسرى ، وإذا غضِب أعرضَ وأشاح [٥] ، وإذا فرح غضَّ طرْفَه ، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبسُّم ، يَفْتَرُّ عن مثل حَبِّ الغمام [٦])) .

وروى مسلم (١٣٧٥هـ : ١٧٢/١-١٧٣)[٧] عن أبي أيوب _ ((أن اعرابياً عرضَ لرسول الله ﷺ وهو في سفر ، فأخذ بخِطام ناقتِه أو بزمامِها [٨] ، ثم قال : يا رسول الله أو يا محمد ، أخبرني بما يُقرِّبني من الجنة وما يُباعدني من النار . قال : فكفَّ النبي ﷺ [٩] ثم نظر في أصحابه [١٠] ، ثم قال : لقد وُفِّق أو لقد هُدي [١١] ، قال : كيف قلتَ؟ قال : فأعاد ، فقال النبي ﷺ : تَعبُدُ الله لا تُشرك به شيئاً ، وتُقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصِلُ الرَّحِم ، دَعْ الناقة)) . إنما قال ذلك لأن الأعرابي كان مُمسكاً بزمام الناقة ليتمكّضن من سؤاله بلا مشقّة ، فلما حصل جوابُه قال : دعها ، وفي الحديث بيانُ غايةِ تواضُعِه ﷺ للسائل وشفقته عليه ، ومع جفائه وتعرُّضه للسؤال في غير وقته .

١- أي صغُرَت وقلَّت .

٢- الذَّواقُ : الشيءُ المَذوق ،سد واءٌك انطعام أ أوشد راباً .فل مي ك ن ،يُ ذكَرُف ي مجل سه ال شريف المُفاضل قة ينالأطعم ة أوالاشر ربة ك شأنهم ضرأه لال دنيال ذينيَه تمُّنهالطع اهوال شراب والملذّات ، وتكون حديث مجالسهم . (أبو غدَّة ، د.ت :ص١٢- ١٣)

٣- بل كان ، لا يَغضَبُ إلا لله تعالى .

٤- أي لم يقُم لدفع غضبه حتى ينتصر للحق .

٥- أي قبض وجهه عمن غضِب عليه ، فلا يُقابله بما يقتضيه الغضب .

٦- أي يضحكُ عن أسنانٍ جميلةٍ بيضاء ناصعة ، مثل اللؤلؤ المشيَّهِ بحبِّ الغمام وهو البرد . والضَّحك في مواطنه فِعلٌ حسنٌ محمود ، لمافيه من الخير والملاق ي للطب اع ،والمُ واتي للمق ام ، فلا غرابة أن يَضحك سيِّدُ الناس وأعظم البشر . (أبو غدَّة ، د.ت :ص١٢- ١٣)

٧- والنسائي ، ١٣٤٨هـ : ٢٣٤/١ .

٨- قوله (بخطام ناقته) أي ناقةِ النبي . والخِطام هو الزِّمامُ ، وهو كلُّ ما وُضِ ع في أذ ف البعي ر ليُقتادَ به . (انظر : أبو غدَّة ، د.ت :ص١٢- ١٣)

٩- أي سكت عن الجواب هُنَيهة .

١٠- تعجُّباً من حُسن سؤاله .

١١- أي وُفِّق للس ؤال عم ا يَهُمُّ ه ويحت اج إلي ه ، أو هُ دي إل ى ذل ك بف ضل الله تع الى ،وال شكُّ م ن الراوي ، والمعنى في اللفظين متقارب .

عن المُغيرة بن عبد الله اليَشْكُري أنَّ أباه حدَّثه ، قال : ((انطلقتُ إلى الكوفة فدخلتُ المسجد ، فإذا رجلٌ من قَيْس يقالُ له ابن المُنتَفِق ، وهو يقول : وُصِف لي رسول الله ﷺ ، فطلبتُه ، فلقيتُه بعرَفات ، فزاحمتُ عليه ، فقيل لي : إليك عنه [١]، فقال : دَعوا الرجلَ ، أرَبٌ ما لَهُ [٢]، قال : فزاحمتُ عليه حتى خَلَصْتُ إليه، فأخذتُ بخِطامِ راحلتِه فما غِيرَ عليَّ [٣] ثم قلتُ : شيئين أسألُك عنهما : ما يُنْجني من النار؟ وما يُدخلني الجنة ؟ قال : فنظَر إلى السماء ، ثم أقبل عليَّ بوجهِهِ الكريم ، فقال : لئن كنتَ أوجزْتَ المسألة لقد أعظَمْتَ وطوَّلتَ ، فاعْقِلْ عليَّ [٤]: اعبُدْ الله لا تُشرك به شيئاً ، وأقِمْ الصلاة المكتوبة ، وأدِّ الزكاة المفروضة ، وصُمْ رمضان)) (ابن حجر ، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م : ٣/ ٢٦٤-٢٦٥)

وروى مسلم (١٣٧٥هـ : ٨٢/١٥) [٥] عن أنس _ : ((أنَّ امرأةً كان في عقلِها شيء ، فقالت : يا رسول الله إنَّ لي إليك حاجة ، فقال : يا أُمَّ فلان ، انظري أيَّ السِّكَكِ [٦] شِئتِ حتى أقضي لكِ حاجتك ، فخلا معها في بعض الطُّرُق ، حتى فَرَغَتْ من حاجتها)) . وفي رواية أبي داود (١٣٧١هـ : ٢٥٧/٤) : ((فجلسَت فجلس النبي ' إليها حتى قضتْ حاجتها)) في هذا الحديث بيانُ تواضُعِه ' ، بوقوفه مع المرأة الضعيفة ، ليَقضي حاجتَها ويُفتيَها في الخَلْوةِ ، ولم يكن ذلك من الخَلْوةِ بالمرأة الأجنبية ، فإن هذا كان في مَمَرِّ الناس ومُشاهدتِهم إياه وإياها ، ولكن لا يَسمعون كلامَها ، لأن مسألتها مما لا يُظهَرُ. (انظر : أبو غدّة ، د.ت : ص ١٠- ١٤)

وهذه الأقوال والشهادات العادلة من الصحابة ﷺ لشخصية الرسول ﷺ من ناحية التعليمية وهو المعلم الباهر الناجح الذي بَرِع في تعليم الصحابة في فترة وجيزة حتى تخرَّج من هؤلآء أجيال يرفعون راية التوحيد والمجد حتّى قال الله à فيهم بقوله : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَـٰهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [سورة الفتح : الآية ٢٩]

١- أي ابعُد عنه .

٢- قوله (أربٌ) أي الحاجة ، و(ما) زائدة ، كأنه قال : له حاجةٌ ما .

٣ - يعني فما غَضِب عليَّ النبي ﷺ ولا غير رُهم نأصحابه .وفي همن تواضُع النبي ﷺوخفض جَناحِه للسائل المستفيد ما لا يخفى .!

٤ - أي فافهم ما أقوله جيِّداً . (انظر : أبوغدّة ،د.ت : ص ١٤)

٥ - والترمذي ، ١٤٠٥هـ :ص٢٠٥ .

٦ - أي الطُّرُق . (أبو غدَّة ، د.ت : ص ١٤)

٧,٢ التعليم النبوي مفهومه وأهدافه

١,٧,٢ مفهوم التعليم النبوي

يطلق على العملية التعليمية كلها ، ولكن المقصود هنا (في البحث) هو التعليم أو الدور الذي يقوم به المدرس في العملية التعليمية.

وكل طريقة من طرق التعليم لها طبيعتها وعناصرها المختلفة المتداخلة في نسيج واحد يشمل الأهداف والوسائل التعليمية الميسرة وأسلوب إعداد الدروس (انظر : اللقاني ، ١٩٨٨م : ص٢٢٠)[1] ، والإجراءات المتبعة لتعليم مجموعة من المتعلمين في زمن معين وتحت ظروف مختلف المعوقات في البيئة التعليمية (القعيد ، ١٤١٤هـ : ٢١٨).

وعملية التعليم بواقعها ما هي إلا نتاج مجموعة من طرق التعليم المتنوعة التي تحقق أغراض الموقف التعليمي (قنديل، ١٤١٨هـ:١٧٠).

إن إدراك أبعاد العملية التعليمية يتوقف في المقام الأول على فهم حقيقة مفهوم التعليم من حيث الصفات والخصائص التي تكمن فيه ، ولهذا فإن تحديد أبعاد مفهوم التعليم يعد أمراً ضرورياً للوقوف على ماهيته وطبيعته لتحديد منطلق التعليم واتجاهاته .

ولأنّ فهم أساسيات العلم وهيكله العام الذي يضم المفاهيم والمبادئ والقوانين والنظريات يعتمد أساساً على المفاهيم سواء باعتبارها نوعاً من التعميمات التي تلخص الصفات المشتركة بين العديد من الحقائق الجزئية ، أو باعتبارها نقاطاً مبدئية لفهم المبادئ والقوانين والنظريات .(لبيب، ١٩٧٤م:ص٥) ولهذا سوف نوضح مفهوم التعليم في عهد النبوة وبيان ذلك مما يلي :

إن عملية التعليم تعني في حقيقتها توجيه سلوك المتعلمين نحو الأهداف المرغوبة في المجتمع المسلم، وفي ضوء هذه الحقيقة نجد بأن المتعلم يمثل محوراً أساسياً في عملية التعلم ، في حين أن المعرفة وأنواع السلوك المرغوب فيه يمثل المحور الآخر في هذه العملية ، وفي ضوء هذه

Ï Ö! !!Î ÖÕÐ•!! ! ! !!!! !Î

الفهم يمكن القول بأن التعليم يعتبر بحق همزة الوصل بين هذين المحورين لما يقدمه من أنشطة متنوعة تمثل التحدث والشرح والوصف ، والتصوير والتوضيح وضرب الأمثلة وإجراء التجارب والاشارة والاملاء والكتابة والتوجيه واللارشاد والمقارنة والموازنة والتحليل والتعليل والاستقراء والاستنباط والقياس والتقويم وغير ذلك . (سالم ، ١٩٨٢م: ص٢٦٤-٢٦٥) مما يساعد المتعلم على النمو المنشود في شتى جوانب شخصيته ، ومن هنا ندرك أن التعليم " لم يعد عملية تلقين بل هو مناقشة وتفكير وتعليل واستنتاج لمشاكل ومسائل وموضوعات ، ومن ثم تكون موضوعات المنهج شركة بين المعلم والمتعلم " (بركات ، ١٩٨١م : ص١٣٦-١٣٧)

وإن المتتبع لما كتب عن مفهوم التعليم في الاصطلاح يجد العديد من التعريف التي تؤكد بأن العمل التعليمي ليس تلقيناً للمعلومات ، بل هو عملية تتضمن نواحي كثيرة ومتعددة تشمل كيفية اعداد الموقف التعليمي المناسب للمتعلمين ، وجعله غنياً بالمهارات والعادات ، والاتجاهات والقيم المرغوب فيها ، ويشمل أساليب توجيه المتعلمين وفعاليتهم ، وفي ضوء هذا الإطار عرف رجال التربية بأنه " تلك الإجراءات التي يقوم بها المعلم مع تلاميذه لإنجاز مهام معينة لتحقيق أهداف سبق تحديدها " (اللقاني ، ١٩٨٥م : ص١٠)

وهناك من يعرف التعليم بأنه " عملية تربوية هادفة ، تأخذ في اعتبارها كافة العوامل المكونة للتعليم ، ويتعاون خلالها المعلم والتلاميذ لتحقيق ما يسمى بالأهداف التربوية " (حمدان ، ١٩٧٥م: ص٢٣)

والتعليم أيضاً هو عملية اجتماعية انتقائية تتفاعل فيها الأطراف كافة تهم العملية التربوية من إداريين وعاملين ومعلمين وتلاميذ لغرض نمو المتعلمين والإستجابة لرغباتهم وخصائصهم ، واختيار المعارف والمبادئ والأنشطة والإجراءات التي تتناسب معهم وتنسجم في نفس الوقت مع روح العصر ومتطلبات الحياة الإجتماعية . (حمدان ، ١٩٨٢م: ص١٢٣-١٢٩)

وبعد عرضنا لمفهوم التعليم في المصطلح الحديث ننتقل إلى معرفة مفهوم التعليم في العهد النبوي ، فإننا نستطيع أنه لما كان هدف التعليم في العهد النبوي إيجاد جيل من أبناء الأمة الإسلامية يدرك رسالته في هذه الحياة إدراكاً واعياً صحيحاً مستنيراً ، ويؤدي هذه الرسالة بقوة

وأمانة ، ويدرك أن لله تعالى عليه حقوقاً فيؤديها بإتقان وإخلاص ، ويدرك لنفسه عليه حقوقاً فيتعهدها بالتهذيب والمحاسبة والتقويم ، ويدرك أن لمجتمعه عليه حقوقاً فيؤدي هذه الحقوق عن رضا بأمانة ونشاط واستقامة (طنطاوي ، ١٩٨٧م: ص٩) ، فمن هنا نجد أن التعليم أخذ مادته ومواصفاته من هذا الهدف العام الذي يسعى التعليم النبوي إلى بلوغه فأصبح التعليم في هذا العهد يعني تلك العملية التي يتم من خلالها " تعاهد الفرد بالتنمية والرعاية الشاملة من كل الجوانب الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية ، ليؤدي رسالته تجاه ربه وتجاه نفسه وتجاه مجتمعه على نحو سليم .

من هنا نستطيع القول إنه إذا كان هذا هو مفهوم التعليم في العهد النبوي ، وكانت هذه هي وظيفته وأدواره في العملية التعليمية ، فإننا بهذا لايمكن أن نتصور أن هناك ثمة ريب في مدى أهميته من ناحية دراسته تاريخياً وفعاليته للعملية التعليمية ، إذ قد تبين لنا أنه بدونه لا يمكن تحقق التنمية والحضارة الشاملة للتعليم ، وبدونه لايمكن للمتعلم أن يدرك القيم والمبادئ والاتجاهات والمثل التي ننشدها في الحفاظ على التاريخ الإسلامي اقتداءً بالمصطفى ‘ .

٢,٧,٢ أهداف التعليم النبوي

اهتمّ الرسول ﷺ بالتعليم اهتماماً كبيراً وجعل له مجموعة من خصائص الواضحة التي يسعى إلى بلوغها في شخصيات الصحابة ﷺ ، وذلك لإدراكه بأن الأهداف " أمر ضروري في ممارسة العمل التعليمي ، فالأهداف هي التي توجه هذا العمل وتضمن له الاستمرار والفعالية سواء في حياة الناشئين أم الشباب أم المجتمع بصفة عامة " (عفيفي ، ١٩٧٤م: ص٢٣)

وجدير بالذكر أن اهتمام التعليم النبوي بوضع أهداف للتدريس جاء في إطار اهتمام الدين الإسلامي بالعلم والحث عليه ، فقد وجه القرآن في مواطن كثيرة إلى طلب العلم ورغب فيه ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو ٱلأَلْبَـٰبِ﴾ [

سورة الزمر : الآية ٩] وقوله تعالى ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾ [سورة المجادلة : الآية ١١]

وإن المتتبع لمنهج التعليم النبوي يجد أنه اعتمد في تحديد أهداف التعليم على اتجاهات أساسية تأخذ شكلاً متدرجاً واضحاً أخذاً من القرآن الكريم باعتباره ميزاناً ثابتاً وضوابط محكمة لقيم الحياة (شديد ، ١٩٧٣م: ص٦٨) والتعليم النبوي حينما يعمل في بناء أهداف التعليم بمفتضى هذه الحقيقة ، فإنما ذلك لإدراكه بأن القرآن الكريم يعطي تصوراً واضحاً عن الفكر التعليمي السليم ، ولأنه يدرك بأنه كلما كان " الفكر التعليمي صادقاً في التعبير عن مطالب الفرد والمجتمع ، وبقدر ما يكون ملائماً لروح العصر ، وبقدر ما يكون أصيلاً ، بقدر ما تكون الأهداف التعليمية المنبثقة عنه قادرةً على التوجيه والارشاد ، بحيث يمكنها أن تلم بكل أطراف العملية التعليمية وان تدفع بها في طريق واضح محدد " (مرسي، ١٩٧٩م:ص ٣٣٨)[١]

من هنا وقد أبدع وزّان (١٤١٣هـ١٩٩٣م : ص٤٧- ٦٣) في توضيح أهداف التعليمي النبوي لكي يتحقق الأهداف التعليمية للصحابة â وبيان ذلك على النحو التالي :

١) بناء التفكير الإسلامي المستنير

لقد اهتمّ التعليم النبوي بمسألة بناء التفكير الإسلامي المستنير اهتماماً عظيماً كبيراً وأعطته وزناً عظيماً ، وذلك تمشياً مع منهج القرآن الكريم الذي يهتمّ بهذا الجانب ويعطيه حقه من الرعاية والتوجيه ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لأيَـٰتٍ لأُوْلِى ٱلأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَذا بَـٰطِلاً سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ١٩٠ -١٩١]

---

١ - انظر وزّان ، ١٤١٣هـ١٩٩٣م : ص٤٣.

ومن هذا المنطلق ، وجّه التعليم النبوي للصحابة ﷺ عنايته للتفكير وجعلته هدفاً للتعليم إيماناً منه بأنه الأساس الذي ينبغي أن يوطد ويدعم بغية بناء الشخصية المسلمة بناءً سليماً ، ومما يؤكد الاهتمام " أن النبي ‘ مأذوناً بالاجتهاد وأنه وقع منه بالفعل وفي مواضع كثيرة ، وأنه أذن فيه لأصحابه وشجعهم عليه وأقرَّهم على الكثير مما اجتهدوا فيه واثابهم عليه سواء أصابوا أم أخطأوا " (السابس ، ١٩٦٨م : ص٨١) ، ويظهر هذه الأمر جلياً في قول الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل _ حينما بعثه إلى اليمن : ((كيف تفعل إن عرض لك قضاء ، قال : أقضي بما بكتاب الله ، قال: فإن لم تجد في كتاب الله ، قال : أقضي بسنة رسول الله ، قال : فإن لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله ، قال: أجتهد رأيي لا آلوا، فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال : الحمدلله الذي وفَّق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسولَ الله)) (أبوداود، ١٣٧١هـ :٣/ ٣٠٣ ح ٣٥٩٤) ، فهذا الحديث يثبت حرص التعليم النبوي بجانب التفكير في العملية التعليمية ، حتى لايكون هناك تعطيل لحواس الإنسان وإذا دلت طبيعة الإسلام هذه على شئ فإنما تدل على أنه دين يتسع للحرية الفكرية العاقلة ، وأنه لايقف فيما وراء عقائده الأصلية وأصول الشريعة على لون واحد من التفكير أو منهج واحد من التشريع .(شلتوت ، د.ت : ص ٩)

ومما يؤكد لنا اهتمام التعليم النبوي بمسألة التفكير وجعله هدفاً من أهداف التعليم تلك التوجيهات النبوية الكثيرة التي حفلت بها كتب السنة ، ومن ذلك أن ابن عباس _ قال : إن قوماً تفكروا في الله عزَّ وجل ، فقال النبي ﷺ ((تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره)) (المناوي ، د.ت : ص٢٦٢) ، وعن أبي سعيد الخدري _ قال : قال رسول الله ﷺ ((اعطوا أعينكم حظّها من العبادة ، فقالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة ، قال : النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه)) (السيوطي : د.ت : ص١٧٠)

ومن هنا يتبين لنا مدى اهتمام التعليم النبوي بمسألة التفكير في التعليم؛ لإيمانه بأن نشاط الفرد وقدرته على التفكير تعد من أهم عوامل بناء الشخصية، ولإيمانه بأن مقدرة الفرد على التفكير" أمر مهم في الميدان التعليمي ، فهي تميز الإنسان بصفة عامة عن الحيوان ، وهي التي تستطيع

أن ترتفع بالنشاط الروتيني إلى نشاط ذكي " (النجيحي، ١٩٦٧م : ص٢٨١)[١]

٢) الاهتمام بالتنشئة الاجتماعية السليمة

تعتبر عملية التنشئة الاجتماعية من أوائل العمليات الاجتماعية ومن أخطرها شأناً في حياة الفرد ، وذلك لأنها الدَعامة الأولى التي ترتكز عليه مقومات شخصيته وبنائها بناءً سليماً ، ومن هنا أخذ التعليم النبوي على عاتقه بضرورة الاهتمام بالتنشئة الاجتماعية في أروع صوره وأشكاله ، ذلك التفاعل الذي يؤدي إلى بَلْوَرة القيم والمبادئ والمثل العليا التي دعا إليها الإسلام ، ويوضح هذه تلك المبادئ التعليمية التي دعى إليه التعليم النبوي والمتمثلة في قول الرسول ﷺ : ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) (ابن حجر ، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م: ٤٣٨/١)

وهذه القاعدة نستطيع القول إن التعليم النبوي ، حينما عملت من خلال التعليم إلى التنشئة الاجتماعية السليمة للصحابة ﷺ ، فهو يَهدف إلى إقامة الحياة المتوازنة التي تتجلى فيها خصائص الفطرة وتنسق مع دور الإنسان في الحياة ، و بهذا يُساعد على إيجاد مجتمع متميز في منهجه عن المناهج الاجتماعية الأخرى تمشياً مع قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [سورة آل عمران : الآية ١١٠] [٢]

٣) رعاية خصائص المتعلمين

لقد حرص التعليم النبوي أن يشمل منهج التعليم فيها على أسس ومعايير تساعد على رعاية خصائص الفرد والنهوض به إلى أعلى

١- انظر وزّان ، ١٤١٣هـ١٩٩٣م : ص٤٧ -٥٠

٢ - انظر وزّان ، ١٤١٣هـ١٩٩٣م : ص٥٠ -٥٢

المستويات ، ونحن نعلم أن التعليم النبوي تهدف على ذلك في العملية التعليمية ، فلهذا اهتمّ التعليم النبوي بخصائص المتعلمين وَوَجَهت إليها الرعاية الفائقة .

ومن مظاهر سمو سيرته ‘ في تعليم الصحابة ﷺ وفي التعامل معهم أنه كان يحدِّثهم وفقاً لمستوياتهم العقلية ، فكانت أساليب عرضه للأفكار وإجاباته عن الأسئلة تختلف في البعد والمستوى من شخص لآخر طبقاً للقابليات الذهنية التي يتمتع بها الأفراد، وأن كانت إجاباته وأساليب عرضه للقضايا لا تختلف من ناحية المرامي في مخاطبته للأشخاص ، ولهذا المعنى أشار الرسول ﷺ بقوله ((أمرت أن أخاطب الناس على قَدْرِ عقولهم)) (ابو داود ، ١٣٧١ ç: ١٣٣/١)

ومما يوضح لنا مدى اهتمام العملية التعليمية في التعليم النبوي للصحابة ﷺ بمسألة خصائص المتعلمين ، ما رواه انس بن مالك عن النبي ﷺ قوله : ((يَسِّروا ولا تُعسِّروا وبشِّروا ولا تُنفِّروا)) (ابن حجر ، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م: ١/ ١٦٣) ، وعن انس _ أيضاً عن النبي ﷺ : ((أنه إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه)) (ابن حجر ، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م: : ١٨٨/١) .

وهكذا سِمَتُ التعليم النبوي بالإنسان فاعترفت به كله ، روحه وجسده وعقله وقلبه ، إرادته ووجدانه غرائزه الهابطة وأشواقه الصاعدة .(القرضاوي، ١٩٧٣م: ص٦٨) [١]

٤) <u>تنمية صفات واتجاهات مرغوب فيها</u>

من الواضح أن بلوغ هذا الهدف من أهداف التعليم في التعليم النبوي إنما يكون بلوغه ضمن الأهداف سالفة الذكر باعتباره جزء منها .

ومَن يتأمل في منهج التعليم النبوي للصحابة ﷺ يجد الحرص الكبير على تنمية الأخلاق الفاضلة فيجد في سيرة الرسول ﷺ أوكلها مواقف سمو كبير دائم الاشعاع في ضمير الإنسان الأخلاقي من المواقف والوقائع

---

١ - انظر وزّان ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م : ص ٥٢-٥٥

التفصيلية ما يعتبر مثالاً لما ينبغي ان يكون عليه موقف المسلم (عثمان ، ١٩٧٩م : ص٢٥١)، ليس هذا فحسب ، بل كان الرسول ﷺ مثالاً رائعاً للأخلاق القرآنية ، فقد سئلت السيدة عائشة ~ عن خلق الرسول ‘ فقالت : ((كان خلقه القرآن)) (مسلم، ١٣٧٥هـ: ٢٦/٦)

ومما يؤكد حرص الرسول ﷺ على الجانب الخُلُقي في التعليم تلك التوجيهات الكثيرة التي صرح بها الرسول ﷺ ، فعن عبد الله بن عمر قال : ((لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متَفَحِشاً، وإنه كان يقول : إن خياركم أحَاسِنَكُم أخلاقاً)) (ابن حجر، د.ت : ١٠/ ص٤٥٦)

ومن كل مانستطيع القول إن رسول ﷺ حرص على أن يتجه التعليم إلى غرس الفضائل في نفوس المتعلمين لأنه يريد " التعريف بالإسلام عقيدة وسلوكاً ، وبث الاعتزاز به في نفوس الناشئة، وتهذيب النفس وتربيتها على الكمالات والمثل الخلقية العليا"(عثمان، ١٩٧٩م:ص٢٥١)، وفضلاً عن هذا كله يريد أن يؤكد بأن الأخلاق "هي أساس السعادة وأصل العزة في الدنيا والآخرة وكفى بجوار الرسول الكريم في دار الخلد والنعيم شرفاً وعلواً لصاحب الخلق الرفيع " (مجاور، ١٩٧٦: ص٤٨-٤٩)[١]

٥) **السعي لإيجاد التوازن في تعليم الإنسان بين الحياتين** .

يهتم التعليم النبوي اهتماماً بالغاً بمسألة التوازن في تعليم الصحابة ﷺ بين الحياتين الدنيا والآخرة ، باعتبار ان هذا الأمر هو قاعدة بناء المجتمع في أحسن صوره ، ولا شكَّ ان هذا التصور الذي يراه التعليم النبوي يتمَاشَى مع ما صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾[سورة القصص: الآية ٧٧] فمن هنا ندرك أن الإسلام لم يكن داعياً إلى الدِّين ورافضاً للدنيا ، بل أنه جمع بين الحالين بين الدِّين والدنيا .

وإن المتتبع لمواقف التعليم في التعليم النبوي يجد الكثير من التوجيهات ، والمبادئ التعليمية التي تؤكد اهتمام الرسول ‘ بمسألة التوازن

---

١ - انظر وزّان ، ١٤١٣هـ١٩٩٣م : ص٥٥-٥٨

ودعمها لدى المتعلمين فيها ، ومن ذلك ما رواه أبي جحيفة عن أبيه قال : ((آخى رسول ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مُتَبذِلة فقال لها : ما شأنكِ ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا ، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له : كل ، قال : فإني صائم ، قال : ما أنا بآكل حتى تأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم ، قال : نم ؛ فنام ، ثم ذهب يقوم ، فقال : نم ، فلما كان آخر الليل قال سلمان : قم الآن ، فصليا ، فقال له سلمان : إن لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ، فاعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ‘ فذكر ذلك له ، فقال له النبي ﷺ : صدق سلمان)) (ابن حجر : ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م : ٢٠٩/٤)

وكل هذه نستطيع القول بأن تعليم الرسول ﷺ للصحابة ﷺ العمل على إقامة التوازن لإدراكه بحاجة التعليم لهذا الأمر ولادراكه بأن بلوغ هذا الهدف يعني بناء الشخصية القادرة على المشاركة في بناء المجتمع وتشيده .(انظر وزّان ، ١٤١٣هـ١٩٩٣م : ص٥٨-٦٠)

٦) <u>السعي إلى توطيد معانى الإيمان فى نفوس الصحابة</u>

لاشك أن مسألة توطيد الإيمان في نفوس الصحابة ﷺ تَعُدُّ القاعدة الأساسية لبناء المجتمع الإسلامي بناءًا صحيحاً ، وفي ضوء هذا الفهم اهتم الرسول ﷺ بهذا الجانب من أهداف التعليم اهتماماً كبيراً لإدراكه التام بأن " فرض الإيمان بالله يهدف إلى اكساب البناء الاجتماعي تماسكه وفاعليته في الحياة ، وربط مشاعر الإنسان وفكره وضميره بالخالق الأعلى حتى ينحرف أو يتجاوز الجادة في مسلكه مع غيره " (طعيمة ، د.ت: ص٢٨٨)

وممّا يؤكد الحرص على هذا الهدف والعمل على بلوغه توجيهه للناس إلى ضرورة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ويدلِلُ على هذا أنّ الرسول ﷺ لما سئل عن معنى الإيمان قال : ((أن تؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)) (مسلم، ١٣٧٥هـ : ١٥٧/١) ، ولم يكتف الرسول ﷺ بتوضيح معاني وأبعاد الإيمان بالله بل نجده دعا إليه وأمر به ، ونجد صدق ذلك في رده على سؤال وفد عبد القيس حينما قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا : ((يا رسول الله إن هذا الحي

من ربيعة وقد حالت بيننا كفار مضر فلا نخلص إليك إلا في شهر الحرام فمرنا بأمر نعمل به وندعوا إليه مَن وراءنا قال : آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع ، الإيمان بالله ثم فسرها لهم ، فقال :شهادة أن لاإله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا خمس ما غنمتم)) (مسلم، ١٣٧٥هـ : ١٨٢/١-١٨٣)

ولشدة حرص التعليم النبوي للصحابة ﷺ على بلوغ هذا الهدف وتمكينه في نفوسهم نجد الرسول ﷺ يرغب في الإيمان بالله ويرهب المبتدعين عنه ، ففي سنن ابن ماجه (١٩٥٣م: ٨٧٣/٢) قوله ﷺ : ((مَن لقي الله لايشرك به شيئاً دخل الجنة ومَن لقيه يشرك به دخل النار)) . (انظر وزّان ، ١٤١٣هـ١٩٩٣م : ص٦٠-٦٢)

ونستطيع القول بأن تعليم الرسول ﷺ للصحابة ﷺ يسعى إلى توطيد معاني الإيمان بالله في نفوس الصحابة، وتوجه المنتمين إلى مهنة التعليم بخطورة مهنتهم وواجبهم تجاهه.